رواية



محمد الباسم

داركتاب للنشر والتوزيع



مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى

الكتاب : روكا

تأليف : محمد الباسم

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : عبد الرحمن سندوبى

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٠٤٠٢ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 2 - 24 - 6597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com

إهداء

إلى أبطال روايتي الحقيقيين.. إليكم أنتم

إلى أولئك الذين سمحوا لي أن أقتبس من تجاربهم أحداثاً..



شِبه مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تتعجب إنْ وجدتَ نفسك أحد أبطال هذه الرواية، أو حتى رأيتَ حدثًا من حياتك يتكرر بين سطورها.

لم أقصد التقليل من شأن أحدٍ، أو شيطنة فريق على حساب آخر، فكلنا بشر لا نتصف بالملائكية ولا العِصمة، وجميعنا يتعلم من أخطائه وأخطاء غيره.

حاولتُ توصيلَ الصورة كما هي بأسلوب يحترم حياء القارئ، وأعتذر لكم إن كان هناك أمرٌ قد حاد عن هذه الطريق...



مـرَّ أربعـةَ عـشرَ عامًـا عـلى زواجِهـا، وقـد تغـيّرت الأحوالُ كثـيرًا عــن ذي قبـل، أخــرج «ألبــوم» الصــور مــن مكتبــه، وصــار يقلِّبهــا ويســتعيد معهــا الذكريــات حتــى وصــل إلى صــورة حفــل الزفــاف؛ تجمعــت عبراتــه في مُقلتيــه، وأحــداث ذاك اليــوم تظهــر أمامــه وكأنهــا كانــت أمــس.

دخلــت ابنتــه ذات الثلاثــة عــشر عامًــا تتســلل إلى غرفــة مكتبــه، وتُبســط ذراعيهــا مــن ســعادتها بعــد حصولهــا عــلى المركــز الأول في مســابقة ثقافيــة نظمتهــا المدرســة، حاولــتْ لفــتَ انتباهــه بحركتهــا، لكنــه ســارح في حفــل زفافــه.

اقتربــت منــه ووضعــت شــهادة التقديــر التــي كانــت تُمســك بهــا عــلى المكتــب؛ تحولــت تعبــيرات وجههــا بمجــرد وقــوع عينيهــا عــلى صــورة تجمعــه بزوجــة أخــرى في حفــل زفــاف!

- «بابا! مين دي؟! حضرتك متجوز على ماما؟!»

انتبــه إليهــا وجفَّــفَ تلــك القطــرات التــي تســللت عــلى وجنتيــه، ورفــع رأســه نحوهــا وهــو يبتســم ابتســامة مصطنعــة، وأشــار بســبَّابته، وأجابهــا بصــوت خفيــض:



- هـوووس.. هفهِّمـك كل حاجـة بـس مـن غـير مـا مامـا تعـرف، اتفقنـا؟!

- اتفقنا.. بس تقول لي كل حاجة بالتفصيل.

- ماشي.. بُصِّي يا حبيبتي...



الفصل الأول

مـن عربـة قطـار «مـترو» الأنفـاق المنتظِـر في محطـة جامعـة القاهـرة، ووسـط زحـام شـديدٍ نزلـت فتـاة سـمراء البـشرة سـوداء العينيـين، متوسـطة الطـول ترتـدي ثوبًـا فضفاضًـا، وحجابًـا طويـلًا يصـل إلى الـمِرفقين، وترتسـم عـلى وجهِهـا ابتسـامةٌ تعـبر عـن فرحـة وصولهـا إلى مـا طـال انتظـاره، وسـهرت الليـالي مـن أجلـه.

وخطـت الخطـوة الأولى في حـرم الجامعـة وكأنهـا يمامـة ترفـرف في جـو السـماء، تترمـق المبـاني واللافتـات بحثًـا عـن كليتهـا حتـى اصطدمت بإحـدى الشـجيرات؛ انتشـلت الصدمة تركيزهـا، كأنهـا اسـتيقظت مـن حلـم جميـل، وصـارت تتسـاءل متعجبـةً: هـي فـين كليـة الآداب؟!

أوقفـت فتـاةً أطـول منهـا ببضعـة سـنتيمترات، وعـلى عينيهـا العسـليتين نظـارة تقيهـا مـن أشـعة الشـمس، وطرحـة قصـيرة تغطـي شـعرها، وسـألتها: مـن فضلـك فـين كليـة الآداب؟



بادلتها تلك الفتاةُ الابتسامةَ، وأجابتها ضاحكةً: شكلِك كده فرقة أولى!

- آه، بالظبط، وحضرتك؟

- حضرتي؟ حضرتي طالبة في نفس الكلية، يلا بينا بقى؛ عشان مشوارنا طويل، لآاخر الجامعة!.. عَلا الصوت بالضحكات، وانطلقتا تتعرفان:

- اسم حضرتك إيه؟

- من أولها كده حضرتك، لأ أنتِ تنسي حضرتِك دي خالص، أنا لسَّه فرقة أولى زيك.. أنا يا ستي اسمي هايدي، وأنتِ؟

- عاشت الأسامي، اسمي رقية.

- فرصة سعيدة يا روءة.

اتسعت ابتسامة رقية وهي تردد: روءة! حلو روءة.. بس ممكن تقوليلي يا «رُقَيَّة»؛ علشان بحبه كده؟!

- ممكن طبعًا، وسوري لو ضايقتك.

- لأ، ولا يهمك.. بس إزاي فرقة أولى وأول مرة تدخلي الجامعة وعارفة الطريق؟! أجابتها بسخرية من نفسها: لأ يا حبيبتي أنا بَعِيد السنة!



- الله أكبر، ربنا يبشرك بالخير.

ومن باب الجامعة الرئيس دخل ذاك الشاب الوسيم، ذو البشرة الخمرية المائلة إلى البياض، يحمل على ظهره حقيبةً ويتصبب عرقًا من شدة حرارة ذاك اليوم، ولكن لا يشغل عقله سِوى قضاء هذه المرحلة، وكيف سيصل إلى حُلمِه الذي ظنَّ أنه بدأ منذ خطوته الأولى إلى كليته.

دخل مدرجه في قسم التاريخ بكلية الآداب حيث بدأت المحاضرة الأولى، ورحبّ الدكتور بالطلاب الجدد، وبدأ يُعرّف نفسه لهم، ويحدثهم عن تاريخ هذه الكلية العريقة، ومراحل تطويرها، وهو ينظر إليه محدقًّا، ويتخيل نفسه جالسًا مكانه، ولا يهتم لما يقول حتى انتهت المحاضرة، ولا يزال سارحًا، وفجأةً فُزِع بقول زميله:

- صباح الخير يا شبح، أنت بتحب ولّلا إيه يا عم؟ المحاضرة خلصت.

- ها؟!.. لأ، مافيش سرحت بس.

- قشطة.. ولا يهمك، اسمي علاء عماد، وأنت؟

- خالد مصطفى.. تشرفنا.

- ما تيجي نلف شوية في الجامعة.



- لأ يا عم أنا عاوز أحضر المحاضرات كلها.

- يا أبا محاضرات إيه؟ ده أول يوم وكل واحد هيدخل يهري في المهري وخلاص.

- لأ روح أنت.. أنا هحضر

- قشطة يا معلم.. سلام

***

وفي مبنى كلية الآداب الرئيس، في قسم اللغة العربية بالطابق الثاني تجلس رقية بين زميلتين، وبجوارهن يجلس شابان، ومنذ دخولها قاعة المحاضرة وهي تتأفف مستنكرةً جلوس البنات والشباب في مقاعد مشتركة.

وبدأ الدكتور حديثه عن مادته، وعرض مُقرَّرها على لوحة العارض الضوئي، وفي نهاية المحاضرة أعلن عن ندوة سيحاضر فيها بعد يومين للحديث عن اللغة العربية، وكيفية الحفاظ عليها، ولكن ستكون في كلية دار العلوم.. تساءلت رقية مندهشةً: دار علوم؟! مش دي كلية كيميا وفيزيا؟!.. إيه دخلها في اللغة العربية؟!

بعد يومين.. بدأت الندوة في دار العلوم تحت عنوان «لُغتُنا عالمية»، وجاءت رقية وهايدي متأخرتين، وبمجرد



دخـول القاعـة؛ ابتسـمت رقيـة ابتسـامةً عريضـة ممتزجـة بتـأوهٍ، وصاحـت في سرور: الله! الحقـي يـا هايـدي ده الشـباب في حتـة والبنـات في حتـة، الله! الله!

- ده يمكـن بـس عشـان دي نـدوة، وبعديـن فيهـا إيـه يعنـي لمـا يقعـدوا جنـب بعـض؟ هياكلونـا يعنـي يـا رقيـة؟!

- ها!، لأ مافيش.

تحـدث المحـاضرون عـن كليـة دار العلـوم أثنـاء النـدوة، ومـا تدرسـه مـن مـواد شرعيـة ولُغويـة؛ مـا زاد حُـبَّ رقيـةَ للغـة العربيـة، وتعمـدت أن تتجـول داخـل الـدار كـي تعـرف عنهـا أكثـر.. دخلـت أول مـدرج أمامهـا وحـضرت محـاضرة.

كان المـدرج مزدحمًـا جـدًّا، والطـلاب يقـف بعضهـم بجـوار المنصـة، وبعـضٌ آخـر يجلـس عـلى حافتهـا، ألقـت نظـرةً؛ وانـشرح صدرهـا عندمـا رأت الشـباب يُخصـص لهـم مقاعـد، وكذلـك الطالبـات لهـن مقاعدهـن، وجهـت نظرتهـا نحـو الدكتـور؛ وإذ بعينهـا تقـع عـلى شـخصٍ آخـر.

رجعـت إلى بيتهـا وتغمرهـا سـعادة عارمـة لمـا حـدث في مـدرج كليـة دار العلـوم، لكنهـا أخفـت هـذا، وطرحتـه جانبًـا، واسـتعادت حديـث محـاضري النـدوة عـن تلـك الكليـة التـي تـدرس اللغـة والديـن في الوقـت نفسـه، وسَـمْتها الهـادئ الـذي



أراحها نفسيًّا، وقررت أن تفاتح والدتها وأخاها في التحويل من كلية الآداب.

وجدت الجو مُهيَّأً ومناسبًا للمناقشة على مائدة العشاء، فأخرجت والدتها وأخاها من صمتهما:

– ماما.. حودا!

– نعم يا ماما؟

– نعمين.

– حصل حاجة كده النهارده في الجامعة، وكنت عاوزة آخد رأيكم في قرار.

– خير.. حصل إيه؟

– وقرار إيه ده اللي هتاخديه؟

قصّت عليهما ما حدث في ندوة اللغة العربية، وأعربت عن ارتياحها للكلية، وأضافت ويدق قلبها قلقًا: ده اللي حصل، أما القرار بقى...

– إيه؟

– انطقي



- القـرار إني عايـزة أحـول مـن آداب لغـة عربيـة لـدار العلـوم!

وعـلى غـير العـادة صمـت الجميـع برهـةً زادت مـن قلقهـا، وأردفـت هنـاء فجـأةً: بـصي يـا حبيبتـي أنـتِ مابقيتيـش صغـيرة، ومـا شـاء الله عارفـة أنـت عايـزة إيـه، اعمـلي الـلي شـايفاه في مصلحتـك، لكـن... (قاطعتهـا)

- لكن إيه؟!

-لازم تسـتخيري ربنـا الأول، وربنـا هيوفقـك لـلي فيـه الخـير.

- عنـدك حقـك يـا مامـا.. إن شـاء الله هصـلي الاسـتخارة قبـل مـا أنـام.

اسـتخارت ربهـا وبعـد بضعـة أيـام، كانـت قـد انتهـت مـن ترتيـب حقيبتهـا، وعزمـت الانطـلاق إلى الجامعـة، وجلسـت عـلى طاولـة الإفطـار تلتقـط لُقيـمات حتـى لا تتأخـر؛ انتشـلت هنـاء تركيزهـا وسـألتها عـن نتيجـة الاسـتخارة:

- ما قولتيش يعني يا رقية.. نتيجة الاستخارة إيه؟

أجابـت رقيـة مندهشـةً: سـبحان الله! كنـت لسـه حـالًا هقـول أهـو، قـرأتي أفـكاري ولـلا إيـه يـا أمـي؟!



- قلب الأم بقى.. ها؟ قولي.

- بُصِّي.. أنا كل يوم أعدي عليها الصبح، وبصراحة حاسّة بارتياح شديد، وكل يوم بيزيد.

- على بركة الله، دي بشارة من ربنا.. ربنا يوفقك يا روح قلبي وأشوفك أم زي العسل.

- ربنا يكتب لِك الخير حيث كان، وأنا تحت أمرك يا ستي في التحويل، عقبال أمَّا أحوّل لِك لبيت عريسك.

انتفضت من جملة محمود، وتغمغت بالكلام: عريسي؟!.. لأ عريس مين لسّه بدري أوي.. الحمد لله شبعت، تسلم إيدك يا ماما.. وخرجت مسرعةً، وسرحت من جديد فيما حدث هناك.

***

في ساحة كلية الآداب بين مبنى الكلية الرئيس ومبنى اللغات وقسم التاريخ يجلس خالد تحت إحدى المظلات المقابلة للمكتبة المركزية التراثية، وبيده كتاب مقرر تاريخ ما قبل الإسلام، وإذ فجأةً يجد أمامه هايدي.

- صباح الخير .. ردَّ بخجل مُغمغِمًا: ها!.. صاا!! صباح الخير .



- أنتَ معانا في أولى تاريخ صح؟

- أيوا.

- طب ممكن أصور منك المحاضرة؟ أو لو معاك تسجيل صوتي يا ريت.. أردف بلهجة قاهرية يغلب عليها الريفية: أيوا طبعًا، مش في مشكلة.. اتفضلي.

تركته وحيدًا وذهبت كي تنسخ المحاضرة، وهو جالس يحدث نفسه:

- أنا إيه خلّاني سمعت الكلام واديتها الكشكول؟ دلوقتي ما هتصدق، وكل شوية تيجي تتكلم معايا، وأنا مش عاوز أدخل السكة دي.. بس أنا برضو ما غلطتش أنا ساعدتها وخلاص، وبعدين ما أنا واثق في نفسي.

وعادت بعد قليل، وبابتسامة خفيفة، وبكل احترام:

- متشكرة جدًّا، يا ... اسمك إيه؟

- خالد.

- متشكرة جدًّا يا خالد، أنا هايدي، فرصة سعيدة

- الشكر لله، ولا يهمك.. وعاد يقرأ في الكتاب.





في بهو[1] دار العلوم تقف رقية وكأنها دخلت الجنة من فرحتها، تترمق معالم الكلية، وتدعو الله أن يُعجِّل إجراءات التحويل، وتذكرت ذاك الشاب صاحب اللحية القصيرة، والابتسامة الصافية الذي دخل متأخرًا يومَ حضرت أولَ مرة، وظلّ واقفًا طوال المحاضرة بجوار منصة الدكتور، ومن جديد ظهر أمامها بطلته البهية وهو يسبّح بمسبحته الإلكترونية الزرقاء؛ نظرت في الأرض وانصرفت قبل أن يلحظ السعادة التي لا تمتلك إخفاءَها أمامه.

دخلت مدرج «أبو حنيفة» رقم «٤»، وكعادة الشهر الأول كان المدرج مُكتظًّا بالطلاب، لم تجد مكانًا للجلوس، وقررت الخروج، وأثناء التفاتها للخروج سمعت صوتًا من بين المقاعد ينادي:

- تعالي.. تعالي هنا يا أم أخضر.

عادت وألقت التحية أثناء الجلوس بجوار تلك الزميلة المبتسمة: شكرًا يا حبيبتي، أنا رقية محمد، وأنتِ؟

- حسناء محمد، يعني أخوات، تشرفت بيك.

- الشرف لي يا جميلة.

---

١ - المكان الواسع المخصص لاستقبال الضيوف، والمقصود هنا مدخل الكلية الرئيس

دخـل الشـاب نفسـه المـدرج أثنـاء تعارفهـما؛ فاحمـرّ وجههـا وصمتـت، ولكـنّ الصمـت المفاجـئ هذا لم يكـن ممزوجًـا ببهجة رؤيتـه كـما سبق، بـل كان تفكـيرًا في هـذا الشـعور، هـل هـو حـلال أم حـرام؟ وإن كان حـلالًا فيجـب أن ينتهـي بالـزواج، ولكـن يجـب أن يعـرفَ هـو أيضًـا شـعورها، ويبادلهـا إيـاه!

بـدأت علاقـة صداقـة قويـة بـين رقيـة وحسـناء منـذ هـذا اليـوم، ومـن قـوة تلـك العلاقـة كانـت زميلاتهـن يعتقـدن أنهـما أختـان حقًّـا؛ لأن الاسـم وحـده لم يكـن الـشيء المشـترك الوحيـد بينهـما، بـل إن السَـمْت وطريقـة الـكلام والثيـاب مشـتركون بينهـما أيضًـا.

ظلّـت رقيـة تتنقـل بـين كليـة الآداب، ودار العلـوم إلى أن قُبِلـت أوراق تحويلهـا إلى دار العلـوم، وأثنـاء تلـك الفـترة طالمـا قابلـت هايـدي وتكونـت صداقـة بينهـما أيضًـا، ولكـن لم تكـن بقـوة العلاقـة التـي تجمعهـا بحسـناء ذات الملبـس الفضفـاض والحجـاب الطويـل، والفكـر المشـترك بينهـما، الـذي لابـد أن يكـون دافعًـا لتفضيلهـا عـلى هايـدي التـي ترتـدي «البناطيـل» وإن لم تكـن محـددة لجسـدها، ولا مشـكلة لديهـا مـن مصادقـة الزمـلاء مـا لم يكـن هنـاك تعـدٍّ لحـدود الاحـترام.

***



انتصف الفصل الدراسي الأول، وظهرت ملامح التغيير على خالد الطالب الريفي الذي كان يُعاتِب نفسه إذا تحدث مع فتاة، ويخجل ويتلعثم لسانه إذا ردَّ على سؤال إحداهن؛ أصبح يتحدث معهن بلسانٍ لَبِقٍ، ويتبادل الأرقام والحسابات دون حرج.

وذاك علاء يجلس مُحدِّقًا في كل سائرة أمامه، الجميلة وغير الجميلة، فهو لا يهمه الجمال أو عدمه، إنما يهتم بأمور أخرى! وانتشله خالد من تركيزه بضربة على ساقه مُداعبًا:

- ارحم ركبك يا ابني.. نشفت!

- يا عم ارحمنا أنت بمبادئك، خلينا نستمتع بشبابنا.. يخرب بيت جمال أهلك -قاطعه مداعبًّا لإحداهن.

ضربه خالد على كتفه مازحًا: عيّل شمال.. ربنا ياخدك.. أتت هايدي خفيفة الظل، طفولية المشاعر أثناء حديثهما:

- صباح الخير.. إزيك يا كابتشن منك له؟ أجابها علاء:

- أحسن منك أكيد.

- الحمد لله تمام، أنتِ إزيّك؟



- الحمد لله زي الفل.. كتاب دكتور عبدالعظيم نزل؟

- لأ، طلع.

- أبـو أم خفـة دمـك منـك لـه، المهـم يـا ظريـف منـك لـه، طالعـين الرحلـة ولـلا إيـه؟

- أنت طالعة؟

- مش عارفة لسّه، هفكر.. أنت طالع يا خالد؟

- آه هطلـع إن شـاء الله .. أهـي حاجـة تغـير جـو المدينـة والمذاكـرة.

- خلاص قشطة أنا كمان جاية.

- آاااااه.. طاااايب

- جاي يا علاء؟

- شور يا برو .. هي إمتى صح؟

- الخميس الجاي .

ولمحت هايدي رقية آتية من بعيد:

- طب قشطة.. نتقابل في الرحلة بقى، ماحدّش يتأخر

- سلام يا خالد..



- وأنا شفاف يعني؟

- سلام يا خفيف

رقية.. رقية

- هايدي.. حبيبتي كنت بدور عليك حالًا:

- بتعملي إيه هنا يا بت يا درعمية أنت؟

- جايّـة أشـوفِك وأعرفـك عـلى أختـي.. وجّهـت هايـدي نظرتهـا إلى حسـناء التـي انشـغلت عنهـا برقيـة:

-آسفة يا قمر ماخدتش بالي.

-شبهك فعلًا يا رقية.. أنتِ معانا في الجامعة؟

- أيوا مع الدرعمية دي في الفرقة نفسها.

تسـاءلت هايـدي متعجبـةً: في نفـس الفرقـة إزاي؟! اوعـوا تكونـوا تـوأم!

- حسناء محمد، ورقية محمد

- بجد؟!

- أنـتِ صدقتـي ولـلا إيـه؟ صاحبتـي بـس أكـتر مـن أخـت طبعًا .



– آاااااه.. اللي خدتك مني.. ماشي يا ستي ربنا يخليكوا لبعض.. ماتيجوا معانا الرحلة.

– رحلة إيه؟! فين؟! مع مين؟

– مع الواد العسل اللي هناك ده

– واد؟!.. لأ من أولها كده لأ

– ما تيجي أعرفكم عليه .. احمرَّ وجه حسناء غضبًا وهبّت في وجهها:

– لأ طبعًا.. إحنا مش بنكلم شباب.. عن إذنك يا رقية الظهر هيأذن! وانصرفت وحدها.

– معلش يا هدهد حقِّك عليَّ هي ما تقصدش معلش.

– إيه التشدد ده؟ ده مافيش ذوق خالص.

– معلش يا حبيبتي، عن إذنك علشان ألحق أصلي أنا كمان.

– سلام يا روحي.. هستناكِ نروَّح سوا ها؟.. وما تجبيش البتاعة دي معاكِ.

– تماموز.. سلام عليكم... أسرعت لتلحق بحسناء.



***



وفي طريق المسجد، عاتبتها:

– ليه كده بس يا حسناء؟ .. أحرجتيها!

– يا شيخة اتقي الله أنتِ كمان، أنتِ إزاي أصلًا تصاحبي واحدة بتتكلم مع ولاد، ومقضياها كده؟ .. أستغفر الله العظيم، دي كمان مُذنبة وعاوزانا نشاركها الذنب.

– حرام عليكِ، ده بالعكس هايدي محترمة جدًّا، وقلبها أبيض، وبتتعامل بنية صافية.

– يعني أنتِ كمان بتبَرَّرِي لها بدل ما تنصحيها؟

– لأ، مش تبرير ولا حاجة، بس النصيحة بتكون بشكل كويس، مش نكشر في وشها ونجري، وبعدين مش مرة واحدة كده، الموضوع هييجي بالتدريج.

– بالتدريج آه، لما واحد يضحك عليها وتتكسر عينها يبقى هينفع التدريج بتاعك ده.

– ما علينا.. أنتِ ادعي لها وربنا يسترنا جميعًا، والحمد لله الذي هدانا وعافانا.. يلا يا أختي مِدِّي الصلاة هتفوتنا، وبطلي نمّ.

– لأ، مش هينفع أصلي أصلًا.



- اممممم.. طيب يا أختي بس بدل ما تدوري على عيوب الناس صلحي نفسك الأول وماتكذبيش.. وقالت مداعبةً إياها:

- اترزعي بعيد كده لحد ما أخلص صلاة وأرجع لك.

- ماشي.. وابقي ادعيلها يمكن ربنا يهديها.

وفي صلاتها تذكرت ذلك الشاب من جديد بعدما قررت أن تصرف النظر عنه ولا تفكر فيه حتى لا يكون ذنبًا وتعاقب عليه، ودعت الله في سجودها:

- يا رب إن كان هذا الشعور حلالًا ولا يغضبك؛ فألهمني الصواب ويسّر لي الحال، وإن كان شرًّا ويغضبك؛ فابعده يارب عن تفكيري، وسخر كل الوسائل للبعد عنه.

وبالخارج حسناء جالسة تفكر فيما حدث، وتتساءل:

- يا ترى أنا كده غلطانة على اللي عملته مع هايدي ده؟ طب بس إزاي أشوف معصية قدامي وأسكت؟! طب ما كده هَسِيء لصورة الملتزمات، وممكن أكون سبب إنها تعند في المعصية! يا الله.. ده أنا كده هشيل ذنبها.. أستغفرك ربي وأتوب إليكَ.. أنا لازم أعتذر لها وأفهمها موقفي، وكمان عشان ما أزعلش أختي رقية.

واستقبلت رقية بوجه مبتهج:

- معاكِ رقم صاحبتك اللي في آداب دي؟

- وأنـت هتعمـلي إيـه برقمهـا؟.. اوعـي تكـوني عـاوزة تتصـلي تنصحيهـا بأسـلوبك الـلي يطفـش ده تـاني.

- لأ، هعتذر لها والله.

استعجبت رقيـة من حالهـا المتغـير: سـبحانَ مُغَـيِّر الأحوال، ده أنـتِ كنـتِ هتقيمـي عليهـا الحـد من شـوية!

- خـلاص بقـى.. هـاتي الرقـم، وبعديـن مـا أنـتِ عارفـة إننـا في الأيـام دي مـش بنبقـى طايقـين حاجـة.

- لأ، تعالي نروح نعتذر لها وجهًا لوجه أفضل.

- ماشي.. يللا..

***



الجميع يُخطئ ويُصيب، وعلينا التنبيه والنصح، لا التوبيخ والتعنيف؛ فكم من مخطئ عاند وفَجَر بسبب أسلوب الكلمة.

محمد الباسم



الفصل الثاني

أثـار الموقـف غيـظَ هايـدي، وأصرَّت العِنـادَ حتـى وإن كان حرامًـا سـتفعله نكايـةً في تلـك المتشـددة؛ وعـادت لتجلـسَ مـع خالـد وعـلاء.. وصَلـت حسـناء ورقيـة إلى كليـة الآداب للاعتـذار، تظاهـرت هايـدي بعـدم رؤيتهـا، وظلَّـت تمـازح عـلاء غيظًـا.

- بـصي يـا رقيـة بتعمـل إيـه؟!.. بـالله عليـكِ نعتـذر لهـا إزاي دي؟

- مـا أنـتِ لـو نصحتـي بشـكل كويـس مـا كانتـش هتعمـل كـده!

- أنـا هرجـع مـش هعتـذر لحـد، ضمـيري مـش هيريحنـي لـو اعتـذرت.



- تعالي بس اعملي اللي عليك وخلاص.. أشارت رقية من بعيد لها كي تأتي؛ تحركت نحوهما وهي تتأفف، ولا تنظر جهة حسناء.

- خلاص بقى يا هايدي حقك عليَّ ما كنتش أقصد أزعلك.

- والله كل واحد حر في نفسه، مش ربنا أنتِ اللي هتحاسبيني!

- أستغفر الله العظيم (قالتها حسناء في نفسها) واستمرت على ابتسامتها، وأردفت:

- خيركم من بدأ بالصُلح بقى يا هايدي، وأنا متأسفة تاني، سامحيني بقى وخلِّي قلبك أبيض، يرضيكِ يعني أموت وأنتِ مش راضية عني يا دودو؟!.. انشرح صدر هايدي وانطفأت ثورة غضبها، وعقَّبَت وهي تقترب منها لتعانقها:

- بعد الشر عليكِ يا حبيبتي، ولا يهمك بس بالراحة عليَّ شوية.

- الله.. الله، ده أنا أجيب لكم اتنين لمون وشجرة بقى، أنا هنفسن كده.

- أنت في القلب هنا يا روق روق...

***

حــوالي السـاعة التاسـعة مسـاءً ليلـة الخميـس (الأربعـاء ليـلًا) يجلـس عـلاء مـع صديـق لـه يعمـل بمركـز لإصـلاح أجهـزة الهواتـف المحمولـة، ودخلـت فتـاة عشرينيـة لتصليـح عطـل في هاتفهـا:

- سلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- لــو سـمحت التليفـون ده بيفصـل لوحـده حتـى لـو مشـحون عـلى آخـره، وزرار البـاور بيعلـق.

- تمـام.. بـس هتيجـي تاخديـه بكـرة؛ عشـان معايـا شـغل ومـش هلحـق أخلصـه دلوقتـي.

- طـب بـس بـالله عليـك تخلصـه ضروري؛ عشـان كل شـغلي عليـه.

- إن شاء الله.

ومنـذ دخـول تلـك الفتـاة حتـى خروجهـا لم تتركهـا عـينُ عـلاء، ودققـت في كل تفاصيلهـا، وبعدمـا انصرفـت التفـت يمينًـا ويسـارًا، ثـم همـس في أذن صاحبـه:



- بقولك إيه يا أسطى، في مصلحة!

- مصلحة إيه؟

- التليفون ده هنعمل منه مصلحة جامدة.

- أنت عبيط يا علاء؟ دي مِدِّيَاهُوني في إيدي والكاميرات مصورة كل حركة!

- هو حد قال إننا هنسرقه؟

- أومال مصلحة إيه بس؟!

- إحنا هناخد الصور من التليفون ونفبركها، ونساومها مقابل مبلغ، وده «آي فون»؛ يعني شكلها مريّشة.

- لأ يا عم حرام، إحنا عندنا إخوات بنات.

- يا أسطى مش هنئذيها، ده كلام بس عشان نعمل مصلحة وخلاص.

- يا ابني عندنا بنات، وداين تدان.

- يا ابني ماتخافش، إحنا هنستفاد إيه لو أذيناها؟.. هي المصلحة تخلص وكأن مافيش حاجة حصلت.

- آمين.. بس فيفتي فيفتي.





تستلقي عُلا على أريكة وبيدها هاتفها المحمول، وتراسل صديقتها «مارفيلا» عبر تطبيق «واتس آب»، وتتحدثان عن العام الأخير في الثانوية:

– إحنا هنيّل إيه في سنتنا اللي مش باين لها ألوان دي؟.. أنا ما فتحتش كتاب، ومش عارفة هلحق ولا لأ، ودي آخر سنة وعاوزة أدخل كلية عدلة.

– ما أنتِ لو بتحضري هتعرفي تتنيلي، لكن أنتِ مش فالحة غير في «الكراشات» والتنطيط.

– حوش حوش البت اللي مش بتفوت درس، ومقضياها سناتر ومذاكرة.

– أيوا أومال إيه ده أنا مقطّعة الكتب من المذاكرة لدرجة إنها بتنور من النضافة.

– هههههههههههه

– هههههه ههههه

– ما علينا.. المهم: عارفة الواد أبو عين خضرا ده اللي دايمًا بنقابله في سنتر المستقبل، وبيفضل يبص علينا؟

– آه.. ما له؟

– بعت له «آد» وقبله.



- بخربيتــك عاوزيــن نعــدي كفايــة «الفرينــدزون» عنــدك اتملــت.

- عــادي يــا «مــاري» أدينــا بنتســلى، يعنــي يبقــى الجــال ده كلــه ومــا أســتمتعش بشــبابي؟!

فزعها عَلاء بصوته الغليظ ضاربًا على رأسها بيده:

- قومــي فــزِّي اِكــوي لي الهــدوم دي عشــان ألبســها بكــرة، وبطــلي لعــب عــلى التليفــون.

- طــب مــش هعمــل لــك حاجــة.. اكــوِ لنفســك.. هــو أنت تخــرج وتعُــط وأنــا أكويلك؟

- وأنتِ لازمتك إيه لـمَّا أكوي أنا؟

- مــش بعــرف أكــوي، وديهــا للمكوجــي!.. دخلــت عفــاف عندمــا عَــلا صوتهــا بالشِــجَار:

- بسســس.. أنــا هكويهــم لــك يــا قلبــي، روح أنــتَ بــس احلــق وظبّــط كــده وســيبك مــن البــت دي، وعُــط براحتــك.. ثــم وجهــت نظرتهــا نحــو عُــلا ســاخرةً:

- وأنــتِ خليــكِ مَرزِيَّــة عــلى التليفــون كــده، ابقــي قابلينــي لــو دخلتــي حتــى معهــد يــا فاشــلة.



- هفلح وهتشوفوا، بس برضو ما خليتهوش يمشي كلامه عليَّ.

كانت الشمس تودع النهار، ويغيب الضوء رويدًا رويدًا، وفي ذلك الجو الذي ترتاح له الأنفس بمجرد النظر إليه والتأمل في حركته، كان هؤلاء الطلاب يعقدون حلَقَةً أمام مياه بحيرة «قارون» والشمس تُعانق مياه البحيرة عناقَ وداع ، وبالمنتصف قارورة بلاستيكية تحدد سائلًا ومسؤولًا، ولا يُسمح لأحدٍ أن يرفض إجابة السؤال الموجه إليه مهما يكن.

وبلفة عفوية من هايدي؛ قررت القارورة أن يُسأل «خالد» من «علاء»، وبدا سؤاله عجيبًا؛ لأنه بالرغم من كونه سؤالًا مألوفًا إلا أنه كان غير متوقعٍ من علاء.

- خالد.. البنت اللي هتتجوزها.. إيه مواصفاتها اللي في دماغك؟! وفي اللحظة نفسها كانت هايدي تترقب إجابته ترقبَ نتيجة الامتحان.

أجابه «خالد» ناظرًا لأعلى، وعقله ينظم الحروف والكلمات قائلًا: والله.. زي أي شاب يعني، تكون بنت ناس، محترمة، في سنَي مثلًا أو أصغر، أو لو أكبر مش مشكلة!.. ضحك الحاضرون لقوله، لكنَّ «هايدي» كانت



تتخيل نفسها في كل صفة يقولها، وتخيَّلت نفسها بجانبه في ليلة الزفاف، إلى أن قطع ذلك التفكير بقوله:

- أمّا الشيء الخاص أوي بقى، والأهم من ده كله: إنها تكون ملتزمة!

- هاهاهاااي.. ابقَ قابلني لو لقيت حاجة من دي الأيام دي، قال ملتزمة قال، وتعالت الضحكات.

انتهى اليوم وفي طريق العودة كانت هايدي مشغولة البال بخالد وكلامه، وكيف تُحقِّق له تلك المواصفات؛ ووجدت أن الحل الوحيد أن تقترب أكثر من رقية، وتقلدها في كل شيء كي تبدو تلك الفتاة التي يتمناها، وعلى الفور أمسكت هاتفها، واتصلت برقية:

- سلام عليكم.. إزيكِ يا روق روق؟

- وعليكم السلام ورحمة الله، ده من إمتى ده وأنتِ بتقولي سلام عليكم في التليفون مش ألو؟

- أومال لـمّا تعرفي أنا متصلة بيكِ ليه هتعملي إيه؟

- خير! في إيه؟

- ما تتخضيش خير إن شاء الله، بصي يا ستي، أنا عايزة أختمر زيك.



- الله.. بجد يا هدهد؟.. ما شاء الله، ما شاء الله، ربنا يثبتك يا قلبي، وأول خمار يا ستي هدية مني ليكِ.

- حبيبتي تسلمي، أشوفِك السبت بقى إن شاء الله في الجامعة.

- لأ، الحد بقى عشان ماعنديش سبت.

- آه صحيح.. خلاص أوكيه.

فرحت رقية فرحًا شديدًا، وشكرت الله على سرعة استجابة دعواتها بهداية هايدي، اللهم لك الحمد.. اللهم لك الحمد.

***

اقترب موعد امتحان الفصل الأول ورقية تحاول أن تُنجز موادها التي تزيد مُعاناتها كل يوم، لا يتبقى إلا القليل، وعشرات الأبيات الشعرية لابد أن تُحفظ، إلى جانب المواد الأخرى، وهي تحاول بأقصى ما تستطيع أن تُخلي تفكيرها من زميلها ذاك، وكيف وهي تراه كل يوم تقريبًا، وكل مرة تتألم أكثر؛ فقررت أن تقتسم هذا القلق مع صديقتها حسناء:



- بقولك إيه يا حسناء.

- نعم.. قولي يا ستي.

- بـما إنـك صاحبتـي، وأكـتر مـن أختـي كـمان، وتقريبًـا شـبه بعـض في كل حاجـة.

- امممممم.

- كان في موضـوع كـده شـاغلني مـن سـاعة مـا دخلـت الـدار، ومـش عارفـة أشـيله مـن دماغـي.

- قـولي يـا حبيبتـي.. وأنـا كُلِّي لـكِ آذانٌ صاغيـة.. لأ مُصغيـة زي مـا الدكتـور قال.

- مـش هتبطـلي شـغل صحـح لي شـكرًا ده الـلي جـاب لنـا شـلل؟

- يـا سـتي سـيبك مـن شـغلي دلوقتـي، قـولي بـس سـامعاكِ أهـو، وهكتـم خالـص ومـش هعـدل لـك حاجـة.

- طيـب.. بـصي يـا سـتي، بصراحـة كـده هـو أنـا مـش عارفـة ده صـح ولـلا غلـط، ولـلا ينفـع أقولـه ولـلا لأ، وكـمان خايفـة يكـون حـرام وأشـيل ذنـب وأنـا مـش واخـدة بـالي.

- امممم.. قولي بقى.



– عارفــة أنــتِ الــواد الــلي دايــمًا قاعــد في المقعــد الأول وبيتناقــش مــع كل الدكاتــرة في كل محــاضرة ده؟

– آه.. أبو نضارة ومسبحة زرقا.. أحمد زغلول.

– وأنتِ عرفتِ اسمه منين؟!.. قالتها بعصبيةٍ وتعجب.

– من الفيس، ده ٢٤ ساعة بينشر في جروب الدفعة.

– فيس؟!

– المهم ماله يعني؟

– صراحــةً كــده يــا حســناء.. بــس ده سر بــالله عليــكِ مــا حــد يعــرف.

– سرك في بير يا ستي ما تخافيش.. ما له بقى؟

– بصراحــة مــن أول مــا شــوفته وأنا حاسّــة بإنجــذاب له وفي بــالي عــلى طــول! ومــش عارفــة أتخلــص مــن الشــعور ده إزاي.

– أستغفر الله العظيم.. إيه يا بنتي ده حرام كده؟

– حــرام إيــه بــس ده مجــرد شــعور، وبعديــن ده غصــب عنــي، يعنــي حاجــة ربّانيــة.

– بــصي يــا رقيــة، الشــيطان بيدخــل لــكل واحــد فينــا بطريقــة مناســبة لطريقــة تفكــيره، وأنــتِ مــا شــاء الله ملتزمــة،



وأكيـد مـش هتتجـوزي غـير واحـد زيـك ملتـزم وعـلى خُلـق؛ فـأول مـا ده جَـه في وشـك الشـيطان علقـه في دماغـك وكل شـوية يوسـوس لـك ويشـغلك بـه عـن الطاعـة.

- آه والله عندك حق، ده حتى في الصلاة مش سايبني.

- أهو.. عشان تعرفي إنه أمر شيطاني مش رباني.

- طـب أعمـل إيـه طيـب وأنـا كل مـا أحـاول أشـيله مـن دماغـي أشـوفه في وشي؟.. أنـا والله تعبـت ومـش عارفـة أركـز في المذاكـرة، والامتحانـات قربـت!

- بـصي.. أنـتِ غُـضِّي بـصرك، مـا تبُصِّـيش ناحيـة مقاعـد الشـباب خالـص، وادعـي ربنـا يبعـد عنـك الوسـاوس دي، واشـغلي نفسـك بالذكـر أحسـن.

- تمـام.. الله يكرمـك، ولـو شـوفتيني بصيـت ناحيـة الـولاد ابقـي عاقبينـي.. مـاشي؟

- مـاشي.. وغمرهمـا الصمـت قليـلًا، ثـم اسـتأنفت الحديث فجأةً:

- صحيح هو الفيس ده بيتعمل إزاي؟

- إيه يا ماما فزعتيني، قولي إحم وللا حاجة!



- معلش ما أقصدش أنتِ اللي بتتخضي من أقل حاجة.. المهم بيتعمل إزاي؟

- وأنت هتعملي بيه إيه؟

- عادي يعني هتابع لو في حاجة مهمة ولـلا حاجة على الجروبات.

- ماشي يا أختي أبقى أعرّفك.

***

اقترب الفجر والجميع نيام، وفي ذاك الركن المظلم في غرفتها تسجد رقية سجدتها الأخيرة في قيامها، أطالت السجود إلى درجة يُظن أنها قد ماتت! وظلَّت تُناجي الله وتدعوه دعاءً مُلحًّا.

- يا رب سترتني وحفظتني من السوء، وأنعمت عليَّ بصديقة زي حسناء تعينِّي على طاعتك؛ يا رب احفظها وإياي وهايدي، وجميع بنات المسلمين، يا رب وفقنا جميعًا في الدراسة، يارب ثبّت أختي هايدي، واحفظها من الفتن، يا رب كتبت لي كلية فيها الدين واللغة؛ فيارب وفقني وفقهني في الدين، اللهم أعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

يـارب لا تُعلِّـق قلوبنـا بغـيرك، وقربنـا إليـك، وتقبـل منَّـا الطاعـة، واغفـر لنـا الـزلات والمعـاصي، يـا رب يـسِّر لأخـي محمـود الحـال واجـزِه عنـا الجنـة، يـارب أنـتَ وحـدك تعلـم هـو تعـب إزاي علشـانا، وبفضلـك يـا ربي كان سـببًا في عـودتي إليـك.. يـا رب احـمِ أمـي واشـفها مـن مرضهـا وأطـل لنـا في عمرهـا وبـارك فيهـا، ويـا رب طمنّـا عـلى بابـا لـو لسّـه عايـش، ويـسر لنـا وسـيلة الوصـول إليـه يـا رب.. يـارب لـو كان أحمـد ده مـن نصيبـي فيـسّر لنـا الـزواج، وضـع في قلبه حبـي، وإن كان مـن نصيـب غـيري؛ فيـارب انـزع حُبّـه مـن قلبـي، ولا تعلقنـي بـه... وفاضـت عيناهـا دمعًـا، ورُطِّـب لسـانها بالاسـتغفار، وشـعرت بارتيـاحٍ شـديدٍ عَقِـب تسـليمها، فتنهـدت بفرحـةٍ، وإذ الفجـر يُـأذَّن لـه.

انتقلـت إلى غرفـة أخيهـا كـي تُوقِظَـه للصـلاة، أطالـت الطَّـرق عـلى بـاب الغرفـة، لكنـه لم يـرد! فتحـت الغرفـة ولم تجـده بهـا، زاد القلـق وأضحـت في حـيرة مـن أمرهـا، هـل تصمـت حتـى لا تقلـق والدتهـا خوفًـا عليهـا، أم تخبرهـا لعلهـا تعلـم؟! قـررت الصمـت وذهبـت إلى غرفتهـا كـي تُحـضر هاتفهـا واتصلـت بـه، الهاتـف يـرن ولكـن لا رد!

- يـا رب اسـتر.. أعمـل إيـه بـس؟.. وسـمعت صـوت رنـين الهاتـف: الحمـد لله جـه، خرجـت، ولا زال الصـوت يعلـو، لكـن «محمـودًا» لـمَّا يـأتِ، وهاتفـه في المنـزل!

- يـارب يكـون نـزل يصـلي، يـارب سـترك.. لأ كـده أنـا مـش عارفـة أتـصرف، هقـول لماما وخـلاص، وربنـا يسـتر وتكـون عارفـة هـو فـين.. ذهبـت إلى غرفـة أمهـا، ولم تجدهـا أيضًـا!...

***



يُريدُها مَريمَ وهو ليسَ بيُوسُفَ، وتُريدُه مُحَمَّدًا وما هي بعائشة!

محمد الباسم



الفصل الثالث

- يا ربي!.. فين ماما هي كمان؟.. يا ماما

- إيه يا رقية بتزعقي ليه؟ أنا هنا أهو

- كنت فين يا ماما أنت كمان؟

- كنت بتوضى يا ماما ما لك وشك مخطوف كده ليه؟

- مخطوف؟.. لأ ما فيش حاجة - قالتها بارتباك وقلق-

- ما لك يا رقية؟!

- روحت أصحي محمود ما لاقيتهوش، ومش معاه التليفون!

- محمود؟.. لأ ما تقلقيش يمكن نزل يصلي، ما أنت عارفة مش بياخد التليفون وهو نازل يصلي - قالتها بلهجة يبدو فيها إخفاء أمر ما-



- طب الحمد لله طمنتيني، أنا كنت قلقانة على الآخر، يلا بقى نصلي مع بعض جماعة، هجيب لك الكرسي وآجي، وقبّلت والدتها وانطلقت.

دخلت هايدي الجامعة من جهة كلية دار العلوم، وفي طريقها لمحتها حسناء، ولكنها لا تصدق ما ترى، كيف تحولت بهذه السرعة من ارتداء «البناطيل» إلى الحجاب الطويل والملابس الفضفاضة؟!

- هايدي؟!.. مش معقول، ما شاء الله، اللهم بارك إيه يا بنتي الحلاوة دي؟

- اتريقي بقى يا ست حسناء.

- لأ بجد والله كده أجمل وأحلى كتير من الأول، أنا مش مصدقة نفسي، سبحانَ مُغَيِّر الأحوال!

- لأ يا حبيبتي صدقي، والفضل يرجع لرقية هي اللي اختارت معايا الهدوم دي -قالتها بابتسامة مصطنعة-

- رقية .. آاااه، لأ ذوقها حلو.

- طبعًا مش صاحبتك، لازم يبقى ذوقها حلو.

- أنت لسّه زعلانة مني من الموقف إياه؟

- لأ خالص، أنا لو زعلانة مش هقف معاكِ أصلًا.

- ماشي يا ستي ربنا ما يجيب زعل.

- إن شاء الله، عن إذنك عشان في محاضرة مهمة جدًا والدكتور هيحدد المهم في المقرر.. سلّمي لي على رقية وخلّيها تستناني نروح سوا.

- عيني حاضر.

- سلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله.

وصلت إلى ساحة آداب، وهناك كان يجلس علاء وخالد يتناولان مشروبًا، وحين أتت لم تصافحهما كالعادة، واكتفت بالإشارة وإلقاء السلام.

- إيه يا بنتي الخيمة اللي أنتِ لبساها دي؟ ما أنتِ كنتِ كويسة من يومين؟

- كده أحلى وخيمة خيمة مالكش دعوة، ولّا إيه رأيك يا خالد؟

- ها؟.. آه كده أحسن طبعًا، وابتسم إبداءً لإعجابه بهذا التغيير.

- طب يلّا بقى عشان نلحق الدكتور قبل ما يقفل الباب وما يدخلش حد بعده، يا علاء بيه.



- لأ علاء بيه مش فاضي ادخلي أنت وخالد بيه.

- ليه حضرتك مشغول؟

- آه.. يلــلا بقــى اتّكلــوا .. وانطلــق خالــد وهايــدي، ويمتلــئ قلبهـا سـعادة؛ لأنهـا أعجبـت خالـد، وأعـادت سـؤالها لــه وهمــا في الطريــق إلى المــدرج:

- بجد يا خالد أنا كده أحلى من الأول؟!

- آه يا بنتي والله كده أحلى، وكمان طلع ذوقك حلو.

- ميرسي، بس بصراحة ده ذوق رقية مش ذوقي.

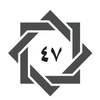
- رقية مين؟

- واحدة صاحبتي في دار علوم.

- تمــام.. اجــري الدكتــور دخــل.. ومكــث عــلاء يخطـط لمســاومة ضحيتــه بعدمــا انتهــى مــن «فبركــة» الصــور، وتجهيزهــا...

***

عــاد محمــود إلى البيــت، وكانــت والدتــه تنتظــره وأحـضرت الإفطــار، ولكنهــا لا تســتطيع الاتصــال بــه؛ لأن هاتفــه في المنــزل، وفجــأة وجَــدَت البــاب يُفتــح.



- السلام عليكم يا ماما.

- وعليكـــم الســـلام ورحمـــة الله وبركاتـــه، حمـــد الله عـــلى ســـلامتك، اتأخـــرت كـــده ليـــه يـــا ابنـــي قلقتنـــي؟

- معلـش يـا دوب على ما وصلـت واديت للراجـل الفلوس، ومـا رضيـش يسـبني إلا لـمّا أقعـد أفطـر، وفضـل يدعـي لِـك كتـير جـدًّا إن ربنـا يبـارك لـك، ويجعلـه في ميـزان حسـناتك.

- اللهـم آمـين يـا ابنـي، بـالله عليـك يـا محمـود اوعَ بعـد مـا أمـوت تنسـاهم ولـلا تنشـغل عنهـم، وده واجـب علينـا نعطـي المحتـاج يـا ابنـي زي مـا ربنـا أمرنـا.

- ربنـا يطـول في عمـرِك يـا أمـي، ويبـارك لنـا فيـكِ ويفرحنا برؤيـة بابـا تاني.

- آمـين يـا رب.. اوعَ حـد غيرنـا يعـرف الموضـوع ده، حتـى رقيـة، خليـه بيننـا وبـين ربنـا، وبالمناسـبة هـي كانـت قلقانـة عليـك، وأنـا قلـت لهـا يمكـن نـزل يصـلي.. المهـم...

- نعم؟

- أنـــت يـــا حبيبـــي ربنـــا مَـــنّ عليـــك وبقيـــت محاســـب، وماحـدش ضامـن عمـره يـا ابنـي، وأنـا عـاوزة أفـرح بيـك قبـل مـا أمـوت.



- ربنا يطول في عمرك يا أمي.

- إيه رأيَك في ليلى بنت عمك علي؟ .. أهي بنت محترمة وذات دين، وأبوها وأبوك كانوا أكتر من الإخوات، وواثقين في تربيتها، ولولا أنت في حد تاني في دماغك؟

- والله يا أمي بصراحة من وإحنا صغيرين وأنا معجب بشخصية ليلى، وكنت دايمًا ما أبينش ده، بس أدام جت منك؛ فعلى بركة الله

***

انتهت امتحانات الفصل الدراسي الأول، كل واحد يودع الآخر وداعًا ممزوجًا بالاشتياق والقلق من نتيجة الامتحانات، وأمام كلية دار العلوم تودع رقية حسناء، وتعانقها عِناقًا حارًّا وكأنها لن تراها من جديد.

- هتوحشيني أوي يا حسناء، بس لازم نتقابل في الأجازة إن شاء الله.

- وأنتِ كمان يا حبيبتي هتوحشيني جدًّا، وبعدين ما أنا عملت لِك الفيس وعلمتك إزاي تستخدميه، ونتكلم كل يوم إن شاء الله.. والتفتت رقية فجأةً ورأت أحمد: الحقي.. اسمه إيه ده أهو.



- مش قلنا خلاص بقى نسيبنا من الكلام ده، ونستغفر ربنا بقى -قالتها بعصبية شديدة-

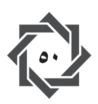
- آسفة.. عندِك حق، وأهو الفترة دي هتريحني من رؤيته، وإن شاء الله ربنا ينسيهوني.. أستغفر الله العظيم.

- ماشي.. يلا بقى عشان مش قادرة عاوزة أنام، وأكلمك على الفيس بقى، سلام عليكم ورحمة الله.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فتحت رقية حسابها على «الفيس بوك»، وأثناء تصفحها وجدت حسابًا تتصدره صورة ذاك الشاب الذي تحاول نسيانه، لكنها أينما ذهبت وجدته حتى في هذا العالم الافتراضي لا يفارقها وجوده؛ ترددت في الدخول إلى حسابه وفي النهاية فتحت الحساب؛ وتعجبت من تلك المنشورات التي معظمها وصف لزوجته المستقبلية وكأنه يصفها هي!

- أنت شكلك تقصدني!.. لأ يقصدني إيه؟ أستغفر الله، يا ترى في قبول لي ولا إيه بالظبط؟.. أنا ليه أصلًا دخلت عنده بعد ما قررت أنسى؟ أستغفر الله العظيم، أنا تعاهدت على نفسي إني مش هفكر في الموضوع ده تاني، ووعدت حسناء، من دلوقتي هشيل الموضوع ده من دماغي نهائي، ولو شوفته هعمل نفسي مش شايفة حتى



لـو في قبـول فعـلًا، ولـو مـن نصيبـي ربنـا هييـسر لنـا الـزواج، ومـن وقتهـا ولم تَـدَعْ لنفسـها فرصـةً للتفكـير فيـه مجـددًا، وإن كان ذلـك عـلى حسـاب قلبهـا.

انتفضـت حـين اهتـزّ هاتفهـا وانتشـل تفكيرهـا.. بسـم الله الرحمـن الرحيـم! هايـدي؟ بنـت حـلال كنـتِ عـلى بـالي.

- سلام عليكم

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، عاملة إيه؟

- الحمد الله يا حبيبتي بخير حال، أنت أخبارك إيه؟

- الحمـد لله كلـه تمـام، إيـه مـا لِـك كـده بقالـك يومـين ولا بتتصـلي، ولا حتـى بتبـاني عـلى الفيـس؟

- معلــش عقبــال عنــدك «حــودا» كان بيخطــب؛ فكنــا مشــغولين شــوية.

- ألف مبروك، عقبالك يا روق روق.

- آمين وإياكِ يا رب، ربنا يرزقنا أزواج صالحين.

- آمـين يـارب وأشـوفك عروسـة جنـب عريسـك، وأنـا جنبـك بعريـسي هاهاهـا

- يارب يا أختي.



- المهـم.. جـدتي كانـت عـاوزة تشـوفك.. ماتبقـي تيجـي تزورينـا.

- ربنـا يبـارك لنـا فيهـا، بـس كـده؟.. تحت أمـر تيتـا، بكـرة كويـس ولـلا إيـه؟

- ينفع طبعًا لو حتى دلوقتي.

- خـلاص إن شـاء الله هسـتأذن مـن حـودا، وآجـي لـك بكـرة إن شـاء الله.

- قشطة.

***

دخلـت رقيـة بابتسـامتها النقيـة عـلى تلـك العجـوز التـي تجلـس عـلى الأريكـة وبجانبهـا العصـا التـي ترتكـز عليهـا أثنـاء التحـرك.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكـم السـلام ورحمـة الله وبركاتـه يـا حبيبتـي اتفضـلي، إيـه الجـمال ده، الله اكـبر.

- تسلمي يا تيتا، حضرتك أجمل ومنورة الدنيا.

- أهي دي بقى رقية يا ستي.



- أهلًا وسهلا يا روق روق.

- روق روق كمان؟ دي أحلى روق روق بقى.

- نعمل إيه بقى، الست هايدي ماهاش سيرة غير روق روق لما حفظت الاسم.

- ربنا يبارك في حضرتك يا تيتا، وهدهد دي أختي.

- ربنا يخليكوا لبعض يا بنتي، ويحفظكم من ولاد الحرام.

- آمين.

- اللهم آمين.

- عن إذنك يا ستو بقى هدخل أنا ورقية نقعد في أوضتي.

- اتفضلوا يا ماما، زي بيتك يا حبيبتي خدي راحتك خالص.

تعجبت رقية من هذا الهدوء الذي يحل بالبيت، لا حركة ولا صوت هنا أو هناك، وبدأ الحوار بسؤالها:

- هو فين ماما أو بابا يا هايدي؟!



أجابتها بصوتٍ حزين: ماما؟!.. لأ ماما متوفية من وأنا في أولى ابتدائي، وبابا متجوز وعايش في بيت تاني مع مراته وإخواتي، وأنا عايشة مع جدتي هنا؛ عشان مش بحب مرات أبويا، وانهمرت الدموع من عينيها كالسيل..احتوتها رقية كاحتواء الأم لرضيعها واعتذرت لها على تذكيرها بذلك:

- أنا آسفة جدًّا، أنا أول مرة أعرف الكلام ده.

- لأ يا حبيبتي ولا يهمك، سيبك سيبك من الكلام ده تعالي أفرّجك على الفساتين الجديدة اللي أنا اشتريتها والخمارات.

- ربنا يثبتك يارب، وشعرت باحتياج هايدي إلى الاهتمام، والعطف عليها؛ فقررت أن تكون لها صديقة وفية وأمًّا حنونًا.

وأمسكت رقية برأسها، وأغمضت عينيها فجأةً! وتحركت إلى الخلف لتجلس على السرير.. ذلك الدوار المستمر الذي يتكرر كثيرًا، وخاصة في تلك الأيام التي تشعر فيها بأن هناك أمرًا يدور في البيت دون علمها، لعلها مفاجأة تُحضر لها، وزاد اقتراب موعد نتائج الامتحانات من توترها وقلقها؛ فأضحت لا تأكل إلا قليلًا.





بدأ الفصل الدراسي الثاني لكنَّ حسناء لم تذهب إلى الجامعة في الأسبوع الأول، وكانت كعادتها تتابع الجديد من خلال «فيس بوك» والمجموعات الخاصة بدفعتهم، ولاحظت أن أحمد لم ينشر أي منشورات جديدة منذ أربعة أيام، فيا تُرى ما الذي يمنعه؟ أم لـمَّا تبدأ الدراسة في كليتهم بعد؟! دخلت على حسابه الخاص، وأرسلت رسالة:

- سلام عليكم.. رأى أحمد الرسالة، وانتظر قليلًا، وهي متعجبة لذلك، ثم كتب:

- وعليكم السلام ورحمة الله.

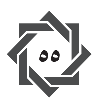
- لو سمحت هي الدراسة بدأت؟.. أصل حضرتك ما نشرتش حاجة من كام يوم وأنا متعودة أتابع من خلال التسجيلات بتاعتك.

- هي بدأت، بس أنا مش سجلت من أول الترم، وكتبت المحاضرات بس.

- طب ينفع تصورها لي لو سمحت؟

- هرفعها على الجروب وحضرتك نزليها.. أحست بالحرج من رده، وقررت إنهاء المحادثة:

- تمام.. جزاكم الله خيرًا.



- وإياكم.. سلام عليكم.

ابتسمت وأغلقت هاتفها، وصارت تحدث نفسها:

ما شاء الله.. ده شكله محترم جدًّا، بس كده ممكن يفهمني غلط.. لأ هو أكيد هيُحسن الظن، عندك حق يا رقية تحبيه من غير ما تتكلمي معاه، أومال لو كلمك هتعملي إيه؟!

وهو كذلك صار يفكر ويتساءل: هو أنا هتجوز إمتى؟.. شقتي موجودة، وأنا الكبير ولو كلمت الحاج هيقولي إني لسه صغير، أعمل إيه؟ أنا لازم ألمّحلهم إني كبرت خلاص ولازم يفهموا ده، اللهم زوجة صالحة، وإن شاء الله هتكون من الدار.

***

أُعلن عن موعد نتائج امتحانات الفصل الأول، وكل الطلاب تترقبها بقلوب تتسارع دقاتها، ولكنَّ خالدًا كله ثقة، وكل ما يقلقه ألّا يصل إلى منصة الدكتور التي يحلم بها وفقط، ويثق في استجابة دعوات أمه في صلواتها، ودعوات إمام مسجد القرية الشيخ مصطفى والده التي لم تُرد أبدًا؛ لكن دعوات والده وثقته الزائدة لم تكن في صالحه هذه المرة، وظهرت على وجهه صدمةُ النتيجة أمام



زملائـه، واسـتعجب عـلاء مـن ملامحـه التـي تحولـت وامتـلأ وجهـه غضبًـا، وسـأله سـاخرًا:

- إيـه يـا بيضـة زعلانـة ليـه؟ نقصتـي كـم درجـة عشـان تعمـلي في نفسـك كـده.

تركـه ولم يـرد عليـه وخـرج متجهًـا إلى المدينـة الجامعيـة، ورأسـه يغـلي: أنـا أشـيل مادتـين؟! وكـمان عـرب قبـل الإسـلام وأوربـا الوسـطى؟ يعنـي أتفـه مادتـين، والـواد عـلاء الـلي مقضيهـا وهايـدي يعـدوا صـافي كـده؟ أقـول لأبويـا إيـه دلوقتـي، وأنـا محسسـه إني «ابـن خلـدون» وإني هتعـين يعنـي هتعـين؟

وظهـرت نتيجـة دار العلـوم، وحصلـت رقيـة عـلى تقديـر جيـد، بينـما حسـناء حصلـت عـلى مقبـول، والجميـع ينتظـر معرفـة نتيجـة أحمـد بشـغف، لكنـه لم يـزد في منشـوره عـن «الحمـد لله نجحـت»؛ لم تنتظـر حسـناء وأسرعـت في البحـث عـن اسـمه، وعرفـت أنـه الأول عـلى دفعتـه، لكنهـا لم تخـبر أحـدًا عـن ذلـك الاهتـمام، وكيـف وهـي دائـمًا تنصـح بعـدم الاختـلاط والصداقـة بـين الجنسـين؟!

في المساء.. أرسلت إليه مجددًا تُهنئه بذلك:



- سلام عليكم.. ألف مبارك وإن شاء الله من نجاح لنجاح؛ تعجَّب من ذاك الكلام، ولم يرد، وأكملت هي:

- أنا عارفة إنه ما ينفعش أبعت لك ولا أهتم، لكن ما أعتقدش إني تعديت حدود التعامل بده، وكمان الفيس ده يعتبر حجاب بيني وبينك.. تعجب مما قرأ، وكتب:

- والله أعتقد إن الفيس ده مافيش حد معانا فيه يعني يعتبر خلَوة، وإن الحدود إننا ما نتكلمش إلا في الضرورة القصوى، يعني لا قدر الله لو كل زميلاتك ما قدروش يساعدوكِ، واحتاجتِ أوي المحاضرات أو غيرها في الحالة دي تبقى ضرورة قصوى، مش حضرتك تدوري على اسمي من الموقع وتجيبي نتيجتي، وتكلميني خاص وتقولي إنه من وراء حجاب!

صُدمت من رده، وكأن صاعقًا أصابها، وقالت في نفسها:

- يا لهوي ده أنا جبهتي طارت، بس مش هديك فرصة برضو، واستأنفت:

- على أيةِ حال خير، وربنا يوفقك ويرضى عنك، واعتبره اختبار أخلاق، ربنا يحسن أخلاقك، ومتأسفة على التدخل.

- آمين وإياكِ.. (اختبار أخلاق؟!)





ازدحمت عربة «المترو» بمحطة الدقي، واكتظت بالركاب، وضاق تنفس رقية ودوار في رأسها كاد يُنسيها ملامح الحياة من حولها، وبجوارها هايدي لا تملك سوى تحريك الهواء بدفترها، ومحاولة إزاحة الناس وإفساح الطريق لتقتربَ من باب العربة وتحصلَ على بصيص من الهواء لتتنفس صديقتها؛ نزلتا في محطة الجامعة، وتزداد حالتها سوءًا، لا تستطيع الحركة من شدة الدوار (الدوخة) حتى أغمي عليها في المحطة، وحولها بعض الفتيات يحاولن مساعدتها، وعلى الفور نقلوها إلى «مستشفى» الطلبة.

وصل خالد بصحبة علاء إلى ميدان الجيزة حيث إن هناك إحدى صديقات أخت علاء تنتظره كي تسلمه أموالًا لأخته كانت استعارتها منها، وذلك هو المكان الأقرب إلى سكن تلك الفتاة، زعم هو هذا حتى لا يكشف خالد أفعاله الدنيئة، ووافق خالد على الفور، وذهب للتسوق هناك بعد الانتهاء من قضاء حاجة زميله:

– بص يا شبح إحنا هنستنى صاحبة أختي دي وأول ما تيجي هروح أكلمها بعيد عشان ما أسبلهاش إحراج.

– ده من إمتى الاحترام ده؟.. ده أنت مش عاتق أي عِرسة في الجامعة.



- دي حاجة ودي حاجة يا أسطى، وبعدين دي صاحبة أختي يعني كأنها أختي.

على أحد الأسرَّة تستلقي رقية كزهرة ذابلة، والطبيب يفحصها ويسأل صديقتها عما حدث لها:

- هي بيحصل لها الدوخة دي كتير وللا دي أول مرة؟

- حصل مرة قدامي وكانت بتقول لي إن ده من صغرها مش جديد، بس أول مرة يُغمى عليها قدامي.

- تمام، وصمت الطبيب، وهايدي تتعجب من صمته هذا، وهو يُجري لها تحليلًا لقياس نسبة «هيموجلبين» الدم (**HBC**)؛ وجد النسبة «٦» ما يستوجب نقل دم لها على الفور ثم استأنف حديثه:

- طب هي اتنقل لها دم قبل كده؟

- هو الموضوع صعب أوي كده يا دكتور؟

- لأ ما تقلقيش بسيطة، هنحتاج بس إننا ننقل لها دم.

اتصلت هايدي بمحمود؛ لأن فصيلة دمه هي فصيلة دمها كما أخبرتها من قبل، ولكنه لم يرد، حاولت عدة مرات لكن لا جديد، وتركهما الطبيب وخرج من الغرفة، فلحقته هايدي مباشرةً.



-لو سمحت يا دكتور أنا ممكن أتبرع لها لو ينفع؛ عشان أخوها مش بيرد ومش قادرة أشوفها كده.. لم تتوافقْ فصيلة دم هايدي بعد الفحص مع فصيلة دم رقية، وازداد القلق، ولا زال هاتف أخيها لا يرد، فلم تجد حلًّا سوى الاتصال بخالد:

- ألو.. سلام عليكم، بالله عليك يا خالد تيجي لي مستشفى الطلبة حالًا دلوقتي، صاحبتي محتاجة نقل دم ومش عارفة أتصرف.

- ماشي.. أنا جنب المستشفى.. خمس دقايق وأكون عندك إن شاء الله.. عن إذنك يا علاء في ظرف طارق كده وهرجع لك تاني.

- ظرف طارق وللا مطب صناعي؟ ها ها ها

- ياض بطّل تفاهة بقى.

- يا أسطى برَوِّش.. فيه إيه طيب؟

- هايدي في المستشفى ومحتاجة نقل دم لواحدة صاحبتها.. ما تيجي معايا.

- لأ يا عم روح لوحدك أنا ما عنديش دم أساسًا.. مستشفى برضو يا هايدي؟ وأنا اللي فاكرك محترمة! وتسحبيه واحدة واحدة وتقولي مستشفى! مسيرك توقعي



يـا ديـدي - قالهـا سرًّا بنـبرة تحمـل مـن الحقـد والـشر جبـالًا فـور انـصراف خالـد- .

ومـن حسـن الحـظ كانـت فصيلـة دمـه التـي تقبلهـا باقـي الفصائـل دون مشـكلة؛ وبـدأت حالتهـا تتحسـن رويـدًا رويدًا، وأخـيرًا اتصـل بهـا محمـود، فـردت عليـه هايـدي:

- سلام عليكم.. أيوا يا أستاذ محمود، أنا صاحبة رقية.

- أهلًا وسهلًا، وهي فين؟

- هـي معايـا أهـي مـا تقلقـش، بـس كانـت تعبانـة شـوية وروحنـا المستشـفى

- مستشفى إيه؟

- مستشفى الطلبة.

- طب هاجي حالًا.

- متشـكرة جـدًّا لحضرتـك، جزاكـم الله خـيرًا، معلـش تعبتـك معايـا.

- ولا يهمِـك، ده واجـب، المهـم إنـك الحمـد لله بخـير، تأمرينـي بـأي خدمـة تـاني؟



- جزاكم الله خيرًا، وانصرف من المشفى، وبعد قليل وصل محمود بسيارته، وشكر «هايدي» على ما فعلت، ثم أوصلها إلى بيت جدتها في دار السلام، وعاد بأخته إلى المنزل.

***

ومع اقتراب امتحانات نهاية العام قرر خالد أن يقلل من لقاء علاء والزميلات، وأن ينظم وقته كما كان يفعل في الثانوية كي يعوض ما حدث، ولا تفارقه التساؤلات عن رسوبه في مادتين من أسهل مواد الفصل الأول:

- أنا عاوز أفهم إزاي أنا شِلت تاريخ أوروبا الوسطى وما قبل الإسلام وأنا كنت مغشش معظم اللجنة وكلهم عَدُّوا وأنا لأ، ده حتى علاء اللي ما بيفتحش كتاب نجح فيها، سبحان الله!.. نفتح فيس يمكن نلاقي حاجة تخرجنا من الهم ده، وأثناء تصفحه بلا مبالاة؛ لفت انتباهه منشورًا كان لحساب بِاسم «الناصح الأمين»، محتواه:

«وإنّ العبد ليغفل عن ربه حتى ينساه فيشتاق له ربه؛ فيرسل من حبه بلاءً يُذكره به حتى يعود العبد يحب اللهَ فيحبه اللهُ ويرفع عنه البلاء»، شعر وكأنَّه موجهٌ إليه بشكل خاص، وفجأة وجد هايدي أمامه.



– بسم الله الرحمن الرحيم! طب كوُحّي أو اعملي أي حاجة، حرام عليكِ يا شيخة خضيتيني.

– أنتَ اللي شكلك كنت مركّز أوي في التليفون، خير؟

– لأ مافيش حاجة قاعد على الفيس عادي.

– طب العصر أذّن مش هتروح تصلي؟.. ابتسم ساخرًا ونظر إليها بتعجب قائلًا: ألـلاه وده من إيه ده؟ الله يرحم أما كنتِ بتسمعي الأذان ولا كأنك سامعة!، هو إيه صحيح اللي حصل لك مرة واحدة كده؟!.. لبس واسع وحجاب طويل، ومابقناش بنلبس بناطيل! إيه اللي غيرك فجأة كده؟

نظرت إليه متأملة في ملامح وجهه، وكأن عينَها تريد أن تنطق وتبوح له بأنها تحبه، وتخبره أن كل ذلك من أجله هو، وأضافت: مافيش كده أريح، وأنت شايف كده أحسن وللا الأول؟

– يا ستي أنت حرة في لبسك، وشكرًا إنك قلتِ لي؛ عشان أنا فعلًا ما سمعتش الأذان، عن إذنك.. ولم يخطُ سوى بضع خُطوات ورجع:

– بقولك صحيح يا هايدي، هي صاحبتك عاملة إيه دلوقتي؟



- صاحبتي؟!.. الحمد لله كويسة.

- ربنا يطمنك عليها، سلام عليكم.

- وعليكم السلام.. وأنا اللي فاكراه فهم، يللا كل حاجة هتيجي واحدة واحدة - قالتها في نفسها بخيبة أمل- .

توضأ وصلَّى العصر، وبعد الانتهاء من الصلاة هدأ باله وصفا ذهنه، وتذكر المنشور، وصار يفكر بشكل منطقي، ويراجع نفسه: هو البعد عن ربنا فعلًا والصحبة.. من صغري وأنا ملتزم ومش بفوت فرض، وحافظ للقرآن ودايمًا بأطلع من الأوائل! اتغرّيت في نفسي وقضيتها خروجات وبنات، واتلميت على شِلَّة أتكسف أقول قدامهم إني رايح أصلي، وافتكرت إن الموضوع سهل، وهوصل للي أنا عاوزه بالطريقة دي، وبعدت جامد عن ربنا، وبدل القرآن بقى تفكيري إزاي أبان متحضر وابن ناس قدام البنات، ورفع يده إلى السماء وترجى الله أن يغفر له.

***

بفستان أبيض مزخرف وحجابٍ فضفاضٍ متلائمٍ ومتناسقٍ معه تظهر «رقية» بجوار «أحمد» ببدلته السوداء ورابطة العنق وردية اللون فوق قميصهِ الأبيض، ومن حولهم تتضافر القلوب بالسعادة والفرح، وتتبادل الألسنة

الدعاءَ لهما بالبركة، والأصدقاء يتناوبون السلام والتهنئة، وقلبا العروسين ينبضان حُبًّا وشكرًا للقادر الذي يسّر لهما الطريق إلى هذه اللحظة التي طالما انتظراها.

وعاد الأمير بملكته إلى مملكتهما الصغيرة، يتبادلان الضحكات ويرويان حكايات الذكريات، وإذا بهما يتفاجآن بامرأة تجلس على السرير والغضب يشعل وجهها نارًا، وبيدها مسدس موجهٌ إليهما.

- لأ يا حسناء، لأ حرام عليك.. إحنا عملنا لك إيه؟!...

***



إنّ مـن حِكـمِ الله في الابتـلاء: أن تتيقـظَ النفـسُ، ويـروق القلـبُ بعـد طـول غفلـة.

محمد معتز السعيد



الفصل الرابع

تسـلم عــلاء المبلــغ الــذي ســاوم تلــك الفتــاة التــي كان ينتظرهــا بميــدان الجيــزة عليــه بعدمــا تركــه خالــد بدقائــق وانـصرف، وفي طريقـه مـرت بجـواره سـيارة وأوقفتـه لتسـأله عـن مـكان قريـب مـن الميـدان، وتظاهـر أحـد الراكبـين بأنـه لا يفهـم جيـدًا، ونـزل كـي يصـف لـه الطريـق بشـكل أوضـح، وأثنـاء انشـغال عـلاء بالإشـارة والوصـف وجـد نفسـه تحـت ذراعـين ضخمـين يُدخلانـه السيارة، وأحبـال تُكتِّفـه، وضُرب عـلى رأسـه ضربـة فصلتـه عـن الواقـع.

انتصـف الليـل وسـاعاته تمـر واحدة تلـو الأخرى، وأوشـك الفجـر عـلى البـزوغ، ووالدتـه ينتفـض قلبهـا قلقًـا عليـه ولا تعلـم مـاذا تفعـل، وهاتفـه مغلـق وليـس مـن عاداتـه أن يتأخـر لهـذا الوقـت مـن الليـل، ولم تتمكـن عُـلا مـن التواصـل معـه عـن طريـق أي وسـيلة كانـت، ويـزداد الخـوف في ذلـك البيـت الـذي عـمّ فيـه الحـزن.



توقفت السيارة في منطقة هادئة جدًّا بحي المعادي، ونزلوا بعلاء ولا تزال الأحبال تكبل حركته، وعلى فمه لاصق يحجب صوته، وأدخلوه في بيت وانهالوا على جسده ضربًا مبرحًا، ثم فتحوا حقيبته وأخرجوا منها حاسوبه المحمول الذي يحتفظ على ذاكرته بصور ضحاياه «المفبركة»، وأجبروه على حذف كل الملفات الخاصة بذلك، وهددوه بالقتل إن علموا أنه كرر ذاك من جديد، وأن ما فعلوه هذا مجرد تنبيه وفقط، وأخلوا سبيله.

عاد إلى البيت مع شروق الشمس وجسده يتألم من أثر الضرب، ووجهه شاحبٌ، وحاول أن يتماسك ويخفي هذا عن الجميع.

– كنت فين كل ده وتليفونك مقفول ليه؟ وإحنا هنا قلقانين عليك!

– ما فيش يا ماما، يعني هو أنا عيل صغير عشان تقلقوا عليّ؟

– أنت كمان لك عين تعلي صوتك؟..كنت فين وإيه اللي مبهدلك كده؟

– مافيش.. واحد صاحبي اتحجز في المستشفى وكنت قاعد جنبه عشان ماحدش من أهله هنا.. غلطان أنا يعني؟! والتليفون فصل شحن.



- طب حمد الله على السلامة، اقعد على ما أجهزلك الفطار، واستشعرت الحرج وصمتت.

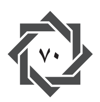
- لأ أنا هدخل أنام عشان مش قادر.

نظرت إليه عُلا نظرةَ سخريةٍ، وكأنها تشك في كلامه وقالت: - مستشفى؟ ربنا يقدّرك على فعل الخير يا أخويا، أفضل قاعدة أنا كده ومش عارفة أذاكر من قلق ماما وأنت بايت لي في المستشفى، تركها ولم يحرك ساكنًا على غير عادته، ودخل غرفته وارتمى على سريره.

***

أخفى أحمد عروسته وراء ظهره تفاديًا لها، ولا أحد يفهم ما الذي جاء بحسناء إلى هنا، وكيف دخلت، وماذا تريد أن تفعل، ولا تزال هي تصوب سلاحها تجاههما وعيناها تُخرج شرارًا لو تملك من الصلب لانصهر من شدته، وقالت بصوت مبحوح:

- جميل أوي إن القلبين اللي فضلوا يحبوا في بعض أربع سنين يتجمعوا مع بعض في قبر واحد! أربع سنين وأنا بلمَّح لَك وأصارحك وأنت دايمًا تصدني وتجرحني، وحاولت ألف مرة أكرَّهك فيه وأنتِ عايشة في دور إنه من نصيبك، وإن شاء الله ربنا هيجمعنا ببعض، وبعد ما خلاص جمعكم أنا لازم أنتقم لجرحي اللي بيكبر كل يوم.



ووجدت رقية يدًا تُربت على كتفها برفق قائلةً:

- قومـي يـا رقيـة عشـان نلحـق نجهـز؛ انتفضـت فزعًـا وهمهمـت:

- إيه؟.. مين؟ ليه ليه ليه؟!

احتضنتهـا أمُّهـا لتخفـفَ عنهـا: أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم، مـا لِـك يـا حبيبتـي في إيـه؟

- أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم.. كابـوس - قالتهـا وهـي تتنهـد وتتصبـب عرقًـا مـن هـول الموقـف-

- قومـي اغسـلي وشـك واجهـزي عشـان أهـل خطيبـة أخـوكِ زمانهـم جايـين والبيـت يـضرب يقلـب.

- أخويا مين؟

- أخـوكِ مـين إزاي؟.. أنـتِ الكابـوس نسّـاكِ أخـوكِ.. قومـي بـلاش دلـع.

- حاضر ماشي هقوم.

***

لم تتوقـفْ حسـناء عـن الاهتـمام بأحمـد، بـل وزاد الأمـر إلى التفكـير في مصارحتـه دون حـرج، وتبدلـت تلـك المبـادئ التـي تَعْتَـبِر الانجـذاب القلبـي نفسـه عيبًـا، ولا يجـب أن يسـمحَ

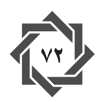


شخصٌ لنفسه أن يفكرَ في من ليس حلاله؛ وأمسكت هاتفها وشرعت في الكتابة إليه وأصابعها تتردد نتيجة خوفها من ردّ فعله، ثم قررت المراسلة مهما كانت النتيجة:

- سلام عليكم.. صراحةً كده أنا معجبة بحضرتك، وأنت شخص محترم وملتزم ما شاء الله ومثال للشاب المجتهد، وحاولت أكتر من مرة إني أمنع نفسي من التفكير وماعرفتش، وقلت أعرفك وخلاص واللي يحصل يحصل، وأرجو إنك ما تفهمش الموضوع غلط وتحسن فيَّ الظن.. وبس كده أنا خلصت اللي عندي.

انتظرت كثيرًا لكنه لم يفتح حسابه طوال اليوم؛ فلم يرَ رسالتها، وفي المساء فتح الحساب وقرأها؛ تعجب مما رأى، وظل يفكر ماذا يكتب، وهي تزداد قلقًا ولا تعرف هل عدم الرد هذا يعني أنه لن يرد أم يحضر لها ردًّا جارحًا، أم سينتهي الأمر بحظر حسابها؟!

وبعد قليل وصلها إشعار من «ماسنجر» باستلام رسالة جديدة، فتحتها على الفور لكنها ليست منه بل من رقية: «هو ده وقتك ده يا رقية؟!» وكانت الرسالة: «سلام عليكم.. حسُّون حبيبتي، يعني أختي اللي شبهي في كل حاجة، فرح أخويا محمود الخميس اللي بعد العيد إن شاء الله، يعني هنكون خلصنا الامتحانات ومافيش حجة، ومش محتاجة أعزمك أصلًا ده أنت



الـلي تعزميـلي، وتشرفينـي إن شـاء الله أنـت وماما وجَنَّـة».

- مبارك مبارك عقبالك يا حبيبتي.

- وعقبالـك أنـتِ كـمان يـا حبيبـة قلبـى.. عـن إذنـك علشـان ألحـق أعـرّف باقـي البنـات.. سـلام عليكـم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعدها مباشرةً وصلها رد أحمد: بـصي أنا صراحـةً ماليش في الـكلام مـع البنـات والمواضيـع دي، لكـن مـا ينفعـش إني أسيئ الظـن في أي حـد أيًّـا كان، وجزيـتِ خـيرًا عـلى حسـن ظنـك فيَّ.

- عـلى فكـرة أنـا كـمان عمـري مـا كلمـت شـاب أصـلًا، وأول مـرة أتجـرأ وأعمـل كـده.

- لأ، ولا يهمك.

- طـب ممكـن تبقـى تبعـت لي تسـجيلات المحـاضرات الأخـيرة؟.. معلـش لـو مافيهـاش رزالـة!

- بصراحة الباقة هتخلص ومش هيكمّل تحميل.

- طب ينفع آخدها في الجامعة؟

- في الجامعة إزاي؟.. وأنا مش عارف شكلِك أصلًا!



- مش عارفة برضو، بس ممكن نتقابل بعيد عن الكلية خالص، أو برا الجامعة.

- خلاص ماشي.. الأسبوع الجاي إن شاء الله هبقى أكتب لك هنا ونتقابل.. سلام عليكم.

***

بعد أسبوع.. كانت تقف حسناء أمام باب الجامعة الرئيس، وقلبها ينبض قلقًا وتتلفت يمينًا ويسارًا كأنها لصٌّ هاربٌ من العدالة، وتنظر في وجوه السائرين لعلها تجده، وبعد دقائق مرت عليها كساعات طِوال أتى؛ وامتلأ وجهه خجلًا ولا يعرف أي واحدة هي ممن يسرن هناك، وإذ به يجد صوتًا خفيضًا بجواره:

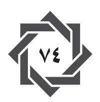
- سلام عليكم.. أنا حسناء.

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- ممكن نبعد عن الجامعة خالص؛ عشان أنا صراحةً محرجة جدًّا وخايفة حد يشوفني؟!

- ماشي بس بالله عليكِ سريعًا؛ عشان عندي سكشن.

ذهبت إلى البيت مباشرةً بعدما أرسل إليها التسجيلات، وشرعت في الاستماع إليها، وتدوين أهم النقاط التي وردت في المحاضرات، ولكن التسجيل الأخير كان ناقصًا، ويبدو



أن ذاك الجزء المفقود هو الأهم؛ فلم يكن هناك حلٌ سوى مراسلته من جديد، لكن هذا في نظرها يعتبر تعديًا لحدود التعامل طبقًا لمبادئها!.. ترددت في اتخاذ قرارها، لكنها لم تجد سواه للإلمام بتلك النقاط، فلا بد أن تُعوضَّ نتيجة الفصل الأول؛ فتحت هاتفها وأرسلت إليه:

- السلام عليكم ورحمة الله.. أنا مُتأسفة جدًّا إني بعت لحضرتك تاني، لكن محاضرة النصوص تقريبًا تلات أرباعها مش مُسجّل، وحضرتك عارف إن دي من أصعب المواد ولازم تتفهم كويس، فياريت لو مع حضرتك باقي التسجيل أو كاتب المحاضرة تبعتها، بتأسف تاني لحضرتك، وجزاكم الله خير الجزاء على تعبك الصبح.. بمجرد رؤيته لاسمها في إشعارات الرسائل شعر بانشراح في صدره لا يعلم لما حدث؛ فأسرع وفتح ليقرأه...

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. لا، ولا يهمك خالص أنا تحت أمرِك، هي فعلًا المحاضرة مش اتسجلت كلها؛ لأن التليفون فصل والتسجيل مش اكتمل، وهصور لك اللي أنا كاتبه حالًا، وجزاني وإياكم، ومش تعبت ولا حاجة وتحت أمرك في أي وقت.

- طب ممكن طلب كمان معلش؟!

- اتفضلي.



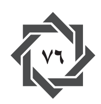
- هـو أنـا بـس ممكـن مـا أنزلـش الأسـبوع ده الجامعـة؛ عشـان ماما تعبانـة شـوية فممكـن تبقى تبعـت لي التسـجيلات، أو حتـى آخدهـا مـن حضرتـك في الجامعـة؟!

- شـفاها اللهُ وعافاهـا، مـش مشـكلة خالـص هجمـع لـك المحـاضرات وأبقـى أديهالـك.. كانـت تلـك المحادثـة مختلفـةً اختلافًـا كبـيرًا عـن ذي قبـل؛ تطـورت الأمـور إلى التعـارف السـطحي الـذي لا يتجـاوز حدودهمـا كزمـلاء.

***

أصبـح «الناصـح الأمـين» صديقًـا مُقَرَّبًـا جـدًّا لخالـد، ولم يهتـم خالـد بمعرفـة هُويتـه، اكتفـى فقـط بكونـه حسـابًا دعويًـا يحفِّـز عـلى الخـير والإصـلاح، واعتـبره جليسَ الخـير الـذي يسـتنصحه في أمـور دينـه ودنيـاه، بـل وكان يستشـيره في كل صغـيرة وكبـيرة في حياتـه، وكانـت كلمتـه لـه كالأمـر مـا لم تخالـف شرعًـا أو عُرفًـا؛ وكان أول قراراتـه أن يبتعـد تمامًـا عـن صحبـة السـوء التـي تبعـده عـن ربـه، وأصبـح لا يتعامـل مـع البنـات جميعهـن، بـما فيهـن «هايـدي» التـي كان سـببًا في تغيـير الكثـير في نمـط حياتهـا.

كان ذلـك صدمـة كبـيرة لهايـدي، خاصـة أنـه مـر بجوارهـا ذات مـرة ولم يحدثهـا ويمـزح كعادتـه، حتـى عندمـا حاولـت الحديـث معـه لعلـه لم يرَهـا؛ أدار وجهـه واكتفـى بإشـارة يـده



وكأنـه يقـول لهـا لا تقـترِبي، جلسـت مكانهـا واحـترق قلبهـا، وعقلهـا يمـرر شريـط ذكرياتهـا معـه أمـام عينيهـا، ربـما فعلـت مـا يغضبـه دون أن تـدري، لكنهـا لم تجـد سـوى مواقـف سـعادة ومـرح، وظلَّـت في تلـك الحـال إلى أن لمحَـت «عـلاء» يجلـس بجـوار بعـض الزميـلات مـن أصدقائهـم، وتعلـو الضحـكات والمـزاح أمـام مبنـى الكليـة الرئيـس؛ أسرعـت إليـه لتفهـم مـا حـدث لخالـد، نادتـه مـن مسـافة ليسـت ببعيـدة:

- علاء.. لو سمحت ثانية.

- أهلًا يا شيخة هايدي (قالها بسخرية منها)

- مـش وقـت هـزار.. هـو خالـد مـا لـه؟ ندهـت عليـه سـابني ومـشي ومـش فاهمـة إيـه السـبب!.. نظـر إليها بابتسـامة مصطنعـة وأجـاب: ألـلا هـو أنـت ماعرفتيـش؟!

- ما عرفتش إيه؟!

- أصـل خالـد مـن يومـين كـده قطـع علاقتـه بـكل الشـلّة، وقـال إيـه إحنـا أصدقـاء سـوء، ومـن سـاعة مـا عرفنـا وهـو حالـه اتغـير وفشـل.. وإن كلامـه مـع البنـات حـرام، وعايـش في دور الشـيخ أحمـد.. تخيـلي! أومـأت برأسـها وفهمت السـبب، لكـن مـاذا عنهـا؟ تحولـت كل هـذا التحـول كـي تلفـت نظـره وتكـون تلـك التـي تصلـح لـه زوجـة، مـاذا تفعـل بعـد أن تركهـا وابتعـد؟!



خرجت عُلا مصاحبة لصديقتها مارفيلا بعد أداء الامتحان الأخير من امتحانات الثانوية العامة، وقد زال ذاك الهم الذي آلمهما عامًا بأكمله، وأرهقهما التنقلُ بين المراكز التعليمية والدروس الخاصة من مكان لآخر، وكادت أجسامهما أن تنحل من ضغط المذاكرة، بسطت ذراعيها، وتنهدت قائلةً:

– يااااه يا «ماري» أنا مش مصدقة إني خلصت من أم الثانوية دي يخرب بيت كده، يعني كلها كم شهر وأروح الجامعة.

– تروحي الجامعة وتشقطي طبعًا!

– أيوا أومال إيه هو أنا هتهد؟!.. ده إحنا لازم نخربها في الجامعة.

– بيس يا أسطى ونصاحب شباب الكلية كلهم، وفي آخر سنة نهمد ونُشقط العريس ها ها ها ها

– ها ها ها ها.. قشطة يا معلم.. لأ نتكلم جد شوية يا ماري.. جامعة يعني خلاص كبرنا ومستقبلنا بدأ، نفكنا من المراهقة دي ونركز في المستقبل.

– مستقبل وكبرنا؟!.. هو امتحان الفلسفة والمنطق أثّر عليكِ ولا إيه؟ والحلاوة دي هتوديها فين؟ تصدقي اتأثرت!



- لأ بتكلم جد مش بهزر!

- معـاكِ حـق ننشِّـن عـلى عريـس مـن أولهـا.. مـش لـمَّا نشـوف النتيجـة الأول؟.. بـاي العربيـة جـت.

- بـاي بـاي.. عـلى «الواتـس» بقـى.. وأشـارت إليهـا، وانصرفتـا.

***

انتهـت الامتحانـات ومـرَّ عيـد الفطـر.. دقـت السـاعة التاسـعة مسـاءً، والجميـع ينتظـر العروسـين في القاعـة، الطـاولات تجمـع الأحبـاب والأقـارب وتـدور الأحاديـث حـول أخـلاق العروسـين، والعلاقـة التـي كانـت بـين والديهـما، وهنـاء تجلـس تنتظـر في صمـت يُخفـي وراءه الحـزن، ويظهـر عـلى وجههـا السـعادة العارمـة فرحًـا لابنهـا، وتتخيـل لـو أن زوجهـا معهـم الآن، ويشـاركهم فرحـة زواج ابنـه الوحيـد، السـنوات مـرت وغيابـه طـال دون معرفـة لسـبب منـذ خمسـة عـشر عامًـا.. وتجلـس رقيـة بـين صديقتيهـا بـل مـن تعتبرهمـا أختيهـا «هايـدي وحسـناء»، وتتصيـد حسـناءُ أخطاءهـم اللغويـة كعادتهـا، وتجادلهـا رقيـة مزاحًـا متظاهـرة أنهـا الأفصح.

وتحـاول هايـدي أن تُظهـر خـلاف مـا بداخلهـا مـن ألم، ولكـن أختهـا التـي تشـعر بهـا دون كلام تفهـم أن هنـاك أمـرًا مـا، حاولـت أن تخرجهـا مـن حالتهـا بمزاحهـا:



- إيـه يـا «هدهـد» هـو أنـتِ علشـان مـش درعميـة وكلامنـا عجيـب عليـك هتقلبـي لنـا الفـرح مَيتـم ولـلا إيـه؟.. حاولـت أن تُخفـي مـن جديـد، لكـنّ دموعهـا كشـفت مـا تُـسرّه:

- بصـوا.. أنـا عارفـة إن ده مـش وقتـه بـس أنـا لـو مـا قولتـش هيحصـل لي حاجـة، بصـوا بصراحـة كـده...، وقبـل أن تبـدأ حكايتهـا وقعـت عيناهـا عـلى بـاب القاعـة ورأت «خالـدًا» يدخـل منـه وفي يـده تشـتبك امـرأة أربعينيـة وتشـبهه قليـلًا!.. همسـت رقيـة: مـش ده الـلي اتـبرع لي بالـدم يـوم مـا كنـتِ معايـا؟!

- أيوا!...

***



كانـوا قديمًـا يُخفـون إعجابهـم خشـيةَ أن يُظَـنَّ فيهـم سُـوءًا، أمـا الآن يتحدثـون دون حيـاءٍ ولا حـرجٍ تحـت مسـمى «الكراش»

محمد الباسم

من مقال: الكراش بمفهوم الملتزمات



الفصل الخامس

نهضت هناء من مكانها وأسرعت تجاه الباب في حالة من السعادة، لا تصدق ما تراه، أهذه حقًّا صديقتها مريم؟ وتذكرت أيام دبلوم المعلمات وعلاقتهما التي كان زواجها وسفرها مع زوجها إلى الخليج سببًا في فراقهما، تعانقتا عِناقًا يحمل شوق السنين، وترك خالد والدته ودخل القاعة الخاصة بالرجال.

والبنات يُتابعنَ ما يحدث في حالة من العجب، ما العلاقة التي بين أم رقية وهذه المرأة، وما صلة القرابة بينها وبين خالد؟! أخرجتهما حسناء من تركيزهما بسؤالها:

- هو في إيه؟.. مالكم؟

- مافيش.. ما علينا كمّلي يا هايدي إيه اللي مضايقك ولو ما قولتيش هيحصل لك حاجة؟

- مافيش حاجة مش وقته بقى.



انتظـرت رقيــة إلى أن انتهــى الزفــاف وانــصرف الجميــع، وبعــد عودتهـم إلى المنـزل تسـللت إلى غرفـة والدتهـا، وجلسـت بجوارهـا عـلى حافـة السريـر؛ كـي تسـتفهم مـا الأمـر.

- ماما!

- نعم يا قلب ماما؟

- بقولك

- قولي

- في واحـدة مـن المعازيـم أول مـا وصلـت؛ قمتِ تسـتقبليها اسـتقبال زايـد شـوية عـن باقـي النـاس، وبعديـن قعـدت تتكلـم معـاكِ لحـد مـا الفـرح خلـص، هـي مـين دي؟!

- يااه يا رقية دي صاحبتي من أيام المدرسة.

- بس أنا أول مرة أشوفها وعمرك ما كلمتيني عنها!

- أصـل مريـم دي أول مـا اتجـوزت عـلى طـول جوزهـا خدهـا وسـافر السـعودية، ويـدوب لسـه راجعـين مـن أربـع سـنين؛ عشـان ابنهـم يدخـل الثانويـة العامـة في مـصر!

- هـو خالـد يبقـى ابنهـا؟.. تغـيرت ملامـح هنـاء، وسـألتها بنـبرة عاليـة تختلـف عـن نبرتهـا الهادئـة دائـمًا: وأنـتِ تعـرفي خالـد منـين؟!



- ده اللي اتبرع لي بالدم لما كنت في المستشفى

- كمان اتبرع لك بالدم؟ ما شاء الله ما شاء الله، وإيه كمان؟!

- اهدي بس يا ماما.. ما أعرفهوش ولا حاجة والله، هو بس زميل صاحبتي في آداب، ولـمّا محمود ماردش علَى التليفون؛ اضطرت تكلمه علشان فصيلة دمها مانفعتش.. استرجعت هدوءها، وربتت على كتف ابنتها: ربنا يحفظك يا بنتي، ويرزقك ابن الحلال وأفرح بيكِ أنت كمان قبل ما أموت.

- أطال الله عمرك، وتربي عيالي كمان.

- طب روحي نامي يا بتاعة اللغة العربية أنت وريحيني من زنك، تعبانة أوي وعاوزة أنام.

- حاضر.. تُصبحِين على خيرٍ يا أُمَّاه.

- قلبت وا إسلاماه.. يللا يا بت من هنا.

***

جلست عُلا أمام الحاسوب تترقب نتيجة الثانوية، كتبت رقم جلوسها وطال انتظار تحميل الشبكة بسبب الضغط على موقع النتيجة، وتمر الثواني عليها كالساعات، وبعد ما يقرب من ثمانِ دقائق ظهرت نتيجتها؛ ابتلعت



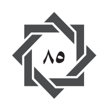
ريقهـا وتجحَّظـت عيناهـا، ودلَّكَتهـما بسـبَّابتيها ونظـرت إلى الشاشـة مـن جديـد «٩ , ٨٧؟» ثـم صاحـت فرحًـا بنجاحهـا عـلى عكس المتوقَّع مـن الجميع، وبسـطت ذراعيهـا وصـارت تتغنـى وترقـص: يـا مامـاااا.. أنـا نجحـت، نجحـت، نجحـت نجحـت نجحـت؛ نهضـت عفـاف مـن أمـام المسلسـل الهنـدي الـذي كانـت تتابعـه، واحتضنـت ابنتهـا والزغاريـد تعلـو أصواتهـا، ولم تسـتمر إلا قليـلًا، وعَـمَّ الصمـت، وسـألتها متعجبـةً سـاخرةً: جبتـي كام بقـى يعنـي عـلى الفـرح ده كلـه؟

٨٨ ٪- يعنـي هدخـل كليـة، يعنـي هدخـل كليـة.. رفعـت عفـاف حاجبيهـا، وأضافـت: تيجـي مـع الهبـل دوبـل.

- يلـلا نتصـل ببابـا ونفرحـه بقـى، وتحـوّل البيـت إلى فـرح شـعبي عـلى أنغـام المهرجانـات والرقـص والطبـل، وأصـوات زجاجـات المشروبـات الغازيـة والعصائـر.

***

تقعـد رقيـة عـلى سـجادة غرفتهـا متربعـة ومرتديـة زي الصـلاة أمـام زوجـة أخيهـا في جـو مـن الهـدوء والسـكينة بعـد صـلاة العشـاء وبيدهـا مصحفهـا الـذي أهدتهـا إيـاه «هايـدي» تتلـو منـه وترتـل، وليـلى تنتبـه إليها جيـدًا، وتعـدّل لهـا الأخطاء التجويديـة، ووعدتهـا رقيـة أن تحفـظ القـرآن وطلبـت منهـا المسـاعدة باعتبارهـا حافظـة للقـرآن ومـن خريجـات جامعـة



الأزهـر الشريـف، واعتادتـا أن تجلسـا كل يـوم بعـد العشـاء لترتيـل الآيـات ومدارسـة أحـكام التجويـد.

أصبحـت ليـلى بمثابـة الأخـت الكـبرى لرقيـة وليسـت مجـرد زوجـة لأخ؛ ممـا أسـعد هنـاء وطمـأن قلبهـا عـلى ابنتهـا، خاصـة بعـد مـا علمـت أنهـا معرضـة للمـوت في أي لحظـة بسـبب مرضهـا، وكانـت تزيـد مـن الألفـة بينهـما بالمعاملـة الحسـنة لزوجـة ابنهـا واعتبارهـا المسـؤولة عـن البيـت وعـن رقيـة بصفـة خاصـة بعدهـا، وهـي تعلـم جيـدًا صفـاء قلـب ليـلى وتربيتهـا الحسـنة.

صمتـت رقيـة ونظـرت في الأرض وكأنهـا سرحـت في أمـر مـا، ثـم صوبـت عينيهـا نحـو ليـلى مبتسـمةً وقالـت:

– عارفة يا أبلة ليلى القعدة دي فكرتني بإيه؟

– فكرتـك بإيـه يـا سـتي؟.. قـولي قـولي، أحـب أنا حـكاوي السـهر دي بيتقـال فيهـا كلام حلـو أوي، قـولي.. ضحكـت مـن قولهـا وأردفـت: زمـان وأنـا في تالتـة إعـدادي كان في ولـد كل يـوم يفضـل مسـتنيني قـدام المدرسـة ويفضـل يبـص لي وأنـا أبـص لـه.. وضعـت ليـلى كفّهـا عـلى خدّهـا، واتسـعت ابتسـامتها وقاطعتهـا:

– امممممم وإيه كمان؟



- استني ما أنا هقول أهو بس اوعي تجيبي سيرة لماما.

- لأ ما تخافيش.. كملي.

- المهم كُنّا نفضل نبص لبعض كده ونضحك من بعيد لحد ما محمود يهل بطلته وياخدني ويمشي، وفي مرة محمود اتأخر ومعظم الناس مشيت، والدنيا هديت خالص؛ قام قرب عندي وأنا مش عارفة يعني كده أبقى مبسوطة، ولا أجري ولا أعمل إيه؟!

- وعمل إيه؟!

- ضحك لي ورمالي ورقة وجري، ولسه بفتح الورقة لاقيت محمود وصل؛ روحت رمياها في الشنطة ووشي احمر من الخجل.

- ومحمود عمل إيه؟!

- ما هو ماعرفش حتى ماخدش باله من الورقة ولا بص في وشي.

- والورقة كان فيها إيه؟!

- كان مكتوب فيها بالنص: «أنا محمود وده رقمي»

- وبعدين؟



- وبعدين بقى بصراحة اتصلت بيه، وأول ما سمعت صوته قفلت بسرعة، وفضلت مرعوبة لَيكون حد سمعني ولا شافني، وكنت خايفة يتصل وأنا قاعدة برا.

- أيوا يعني كل اللي حكيتيه ده إيه وجه التشابه اللي يخليكِ تفتكريه بالقعدة دي؟

- ما هو لو صبر القاتل على المقتول؛ ما كانش هيموت قبل ميعاده برضو!

- طب قولي يا أم دم خفيف.

- المهم بصراحة كده بدأنا نتكلم في التليفون، وكل شوية يبعت رسايل وكده.

- رسايل إيه بالظبط؟

- رسايل وخلاص بقى.. ماتكسفينيش!

- كملي يا مكسوفة بليلتك دي.

- المهم مرة رن وأنا كنت نسيت التليفون في البيت، ومحمود رد عليه، وأول ما سمع صوته قال له: آسف النمرة غلط! وأنا اليوم ده رجعت وأنا هموت من الخوف لَيكون اتصل وأنا برا، مسكت التليفون لاقيت رسالة جديدة مقروءة أول مرة أشوفها.. وببص لاقيت محمود بينده عليّ! حلووو أنا كده هدّبح! قلت: نعم وأنا بحاول

أمسك نفسي؛ عشان يمكن مثلًا شاف الرسالة بالغلط مثلًا يعني؛ قال لي ادخلي اعملي مع ماما الغدا! كنت كل ما أسمع همسة أفتكره جايب السكينة وجاي يخلص عليَّ!

- عمل إيه يعني في الآخر؟

- عمل إيه؟! محمود ده طلع ذكي جدًّا، هو طبعًا شاف الرسايل اللي على التليفون وفهم الحكاية بس ما قالش حاجة، وكمان حتى ما لمَّحليش إنه فهم حاجة، وخدني وداني عند أبلة «نعمة» بحجة إني هاخد عندها درس خصوصي؛ علشان العربي عندي ضايع، وهي عملت الباقي.

- عملت إيه؟!

- كانت بتكروتني في دروس المدرسة وتفضل تكلمني عن الدين، وعن أمهات المؤمنين، وإيه الزي اللي المفروض البنت المسلمة تكون فيه وكده، ومن ساعتها ولا فيها محمود ولا تليفون ولا غيره، والحمد لله لبست الحجاب الواسع، وكانت بتحَبِّبْني في اللغة العربية، وتكلمني عن إنها مهمة ومن الدين؛ علشان كده صممت أدرس اللغة العربية.. الشاهد بقى إنها كانت بتقعدني قصادها زي ما أنت مقعداني كده.

- ما شاء الله ربنا يبارك فيها ويكتبه في ميزان حسناتها.. وأنت بتسألي عنها بقى ولا لأ؟



- بصراحة من سنة الثانوي سبتها وما شوفتهاش تاني.

- لأ، يـا رقيـة لازم تسـألي عليهـا دي كانـت سـبب في إنـك تبقـي مـا شـاء الله زي مـا أنـا شـايفة كـده.

- عنـدك حـق، نبقـى نسـتأذن مـن «حـودا» ونـروح نزورهـا سـوا، مـاشي؟

- مـاشي.. قومـي بقـى يـا رغَّايـة؛ عشـان بكـرة أول يـوم جامعـة.

- يـا الله!.. ده أنـا نسـيت خالـص، عـن إذنـك بقـى ده أنـا مـا جهزتـش حاجـة.

نهضـت مـن مكانهـا ووضعـت مصحفهـا في الحقيبـة، وبدأت ترتّـب أغراضهـا استعدادًا لليـوم الأول في الفرقـة الثانية.

***

التقـت هايـدي في الصبـاح في محطـة «مـترو» السـادات، وركبتـا القطـار في إحـدى العربتـين المخصصتـين للسـيدات، ولا تـزال هايـدي في حالـة نفسـية سـيئة متأثـرةً بابتعـاد خالـد عنهـا، والتغـيرات التـي حدثـت لهـا، وينشـغل تفكيرهـا في المتقـدم لزواجهـا، وطلبـت مـن رقيـة أن تظـلَّ معهـا لتحكـي لهـا مـا كانـت تـود حكايتـه مـن قبـل ولم يسـمح الوقـت آنـذاك، ولم يدخـلا الجامعـة وفضّلتـا أن يسـيرا بالخـارج.



- ها يا ستي أدينا بعدنا عن الجامعة أهو.. قولي ما لِك بقى؛ علشان حالتِك كده مش مريحاني.

- بصي يا رقية.. طبعًا أنت لاحظتي إني فجأة كده اختمرت واتغيرت عن الأول كتير.

- الحمد لله ربنا يثبتِك ويكتبه في ميزان حسناتك.

- عارفة إيه اللي غيرني كده؟!

- يهدي من يشاء، ربنا أراد لك الهداية ولله الحمد.

- الحمد لله وكل حاجة بس بصراحة ده كان سببه إني كنت بحاول أكون البنت الملتزمة اللي على خُلق زي ما خالد عاوز مراته تكون!

- خالد مين؟!

- خالد اللي اتبرع لك بالدم.

- صحيح نسيت أقولك.. والدته طلعت صاحبة ماما من أيام المدرسة؛ علشان كده جه فرح محمود، المهم كملي.

- من ساعة ما قابلته في الكلية السنة اللي فاتت وأنا اتعلقت بيه، ولما كُنّا في الرحلة وبنلعب سألوه عن مواصفات فتاة أحلامه؛ قال أهم حاجة تكون ملتزمة.

- امممم



- عشان كده اتحولت كده ومابقتش بتعامل مع شباب ولا حتى أسلم، وفي آخر الترم اللي فات مرة واحدة لاقيته بعد عني وما بقاش حتى يبص لي لو عدى جنبي في الكلية، وعرفت بعدين إنه قطع علاقته بالشلّة كلها ومابقاش يتكلم مع بنات هو كمان حتى أنا!.. ده أثَّر عليَّ أوي، ومخلي نفسيتي زفت لحد دلوقتي من ساعتها، مش عارفة أعمل إيه، وفوق ده كله متقدم لي عريس ومش بَطِيقُه.

- مين؟!

- ابن عمي.. بس أنا بحب خالد، وبابا عاوز يجوزني بالعافية!.. كانت رقية تستمع لها بآذان مصغية، وتنتبه لكل حرفٍ تنطقه، وأجابتها بعد إنصات:

- والله صراحةً مش عارفة أقولك إيه، بس المفروض الالتزام ده يكون خالص لربنا مش عشان حد، وما دام هو اللي بعد لوحده فربنا أكيد له حكمة في كده، كل اللي أقدر أقوله إنك تستعيني بربنا وتستخيريه، وإن شاء الله هيقدم لك الخير.. ولو خالد ده من نصيبك؛ ربنا هييسر لك وهتتجوزيه لو مهما حصل.. ولو ابن عمك الأفضل ليكِ تبقي ترضي بما كتبه الله لك وخلاص.

- تمام.. وأنتِ ادعي لي يكون من نصيبي، مش متخيلة نفسي أكون لحد غيره.



- ربنا يرزقك الخير حيث كان ويفرح قلبك ويجوزك الأصلح فيهم.. وفي حاجة بقى يا هايدي؛ علشان نكون فاهمين، ما ينفعش يبقى في علاقة بين بنت وولد أصلًا، ولو الظروف حتمت التعامل أوي يعني؛ فيكون بحدود زي: إننا نكون مجبرين على مشروع في الكلية أو حاجة، وبعدها خلاص الموضوع ينتهي، ولا نتعرف بقى وناخد أرقام بعض ولا الحاجات دي، ونريّح نفسنا ونغض البصر من البداية، ربنا قال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.. «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ..﴾[2] وغض البصر ده هيقطع طرق كتير لمصايب.

- ماشي يا بنتي بس أنا بحبه ومش بَبُص - سوري يعني- بشهوة أو أي تفكير مش محترم!

- يا حبيبتي الشيطان مش هيسيبكم من غير ما يطور الموضوع، «لا تتبعوا خُطوات الشيطان»؛ يعني الشيطان بيخطط لنا مراحل من أول البَصَّة لحد أعوذ بالله الوقوع

٢ - سورة النور : الآيتان ٣٠ - ٣١



في الزنـا، وممكــن ربنـا يعاقبـك ومـا يجعلـوش مـن نصيبـك؛ فهيفضـل قلبـك متعلـق بيـه حتـى بعـد الـزواج مـن غـيره، ومــن أول مشــكلة صغــيرة هترجعــي تفتكــري في المشــاعر القديمــة... فاهمــة؟!

- آه فهمت.

- بس صحيح ده خالد أصغر منك بسنة!

- مـين قـال كـده؟.. أنـا آه عايـدة السـنة بـس أنـا قدكـم؛ لأني مــش متأخــرة وكــمان كنــت خــاص، وحتــى لــو أصغــر عــادي، سـيدنا محمَّــد عليـه الصـلاة والسـلام اتجـوز السـيدة خديجـة وهــي أكـبر منـه.

- عليـه الصـلاة والسـلام.. أنـتِ بـس تـوكلي عـلى الله.. مـا تيجـي تحـضري معايـا محـاضرة.

- مــاشي، أنـــا برضـــو مـــش عـــاوزة أروح الكليـــة خالـــص، وأوعدك إني هصلي اسـتخارة، وإن شـاء الله خالـد يبقى من نصيبي.

- إن شــاء الله يكــون مــن نصيبــك إذا كان الأصلــح ليــكِ ماتعلقيــش قلبــك وخـــلاص.

- طب بالراحة طيّب ماتزوقيش يا حاجّة.

- أيـــوا كـــده اطَّمنـــت إنـــك بقيتـــي بعقلـــك ورجعتـــي طبيعيـــة.. يلـــلا يـــا مامـــا خلينـــا نلحـــق نحـــضر.



كل الهزائم قابلـة للترميـم ، وكل الفراغـات قابلـة للمـلء، إلا مـا يفعلـه الغـدرُ بالقلـوب؛ فـلا تسـتهينوا بطعنـاتٍ تقودهـا يـدٌ كانـت حبيبـة -ذات يـوم- إلى سـويداء القلـب.

عبد الرحمن عبد المُرضي



جلست مارفيلا وعُلا في أحد مدرجات كلية التجارة بجامعة حلوان قبل دخول الدكتور، أخرجت مارفيلا هاتفها، والتقطت بعض الصور مع صديقتها في يومهما الأول بالجامعة، وأعربت لها عن سعادتها؛ لأنهما التحقتا بالكلية نفسها كما تعاهدتا من قبل أن تظلا صديقتين إلى الأبد، وجددتا عهدهما.

وبجوار عُلا قعد شابٌّ مفتول العضلات ذو بشرة بيضاء وشعر بني، ويميل لون عينيه إلى الأخضر، مدَّ يده إلى جانب هاتف عُلا الذي وضعته أمامها على المقعد، وأناره وهو ينظر إلى وجهها الذي احمرّ غضبًا مما يحدث، وتحدث بنبرة تدل على برود أعصابه ولا مبالاته لشعورها:

- مش حلوة خالص على فكرة الصورة دي، وقال وهو يتظاهر بالدهشة: إيه ده؟! دي صورتك.. بس تصدقي الحقيقة أجمل كتير!

رفعت حاجبيها وجذبت منه هاتفها بعنف وهي تثور: أنتَ عبيط يالا؟.. أنتَ إزاي أصلًا تتجرأ وتمسك تليفوني وتفتحه كده؟

- شكلِك حلو على فكرة وأنت متعصبة.. محتاجة صورة.

- سيبِك منه يا عُلا ده شكله متخلف عقليًّا.. - قالتها مارفيلا وهي تمسك بها وتحاول أن تهدِّئ من عصبيتها.

- متخلـف عـلى نفســه مــش علينــا.. ابتســم لهــما وكأنهــما يحدثــان أنفســهما، ومــرَّرَ أصابعــه بــين خصــلات شــعره للخلـف، ولم يُعَقِّـبْ عـلى كلامهـما إلا بجملـة واحـدة: أمـين رأفـت مـن المعـادي، ونهـض مـن مكانـه عـلى الفـور بابتسـامة بلهــاء.

اعتــذر الدكتــور عــن المحــاضرة، وكانــت فرصــة لهــما أن تتجـولا في الجامعـة وتتعرفـا عـلى معالمهـا، خرجتـا مـن المـدرج ولم تتوقفـا عـن الضحـك ممـا حـدث، وفي طريقهـما وجدتـا مجموعــة مــن الشــباب والبنــات يتحلقــون حــول شــابٍ ذي صــوتٍ رائــع بالقــرب مــن مــدرج «١٨»، ويُطْرِبُــون آذانهــم بغنائــه، أعجبهــما الصــوت فاقتربتــا لرؤيتــه؛ فــكان هــو نفســه أمــين صاحــب الموقــف!

جذبــت مارفيلــلا صديقتهــا لتنصرفــا وتســتكملا جولتهــما، فلــم تســتجب لهــا عُــلا، وأشــارت بيدهــا لتنتظــر، وظلّــت تنظــر إليــه مســتمتعةً بــما يغنــي، وهــو يتجاهلهــا متعمــدًا، ثــم انتقــل إلى أغنيــة أخــرى، كانــت للراحــل «عبدالحليــم حافــظ» وكأنــه يعلــم أنهــا مــن عاشــقيه رغــم هوســها بالمهرجانــات كجيلهــا، ووجَّــه نظرتــه إليهــا وغنّــى:

كان يـوم حبـك أجمـل صدفـة.. لـمّا قابلتـك يومهـا صدفة.. قـال لي جمالـك أجمـل صدفـة

صدفة قابلتك ولا على بالي.. شوفت ساعتها كل الدنيا.. صدفة لاقيت اتغير حالي.. واتبدلت لوحدي في ثانية...

نظرت إلى الأرض وانتابها الخجل وانصرفت مسرعةً مع مارفيلا.

- ما لكِ يا بِت اتحولتِ كده ليه؟

- مافيش.. مالي؟! ما أنا زي ما أنا أهو - قالتها ويبدو على وجهها الخجل-

- هو مش إحنا اتفقنا إننا هنعقل ونكبر في الجامعة ونبطل شقط؟ ولا هو كان كلام عيال؟

- أنتِ شايفاني روحت قعدت معاه؟!.. ما أنا سبته ومشيت معاكِ أهو، يلا خلينا نشوف هنعمل إيه وفكك من اللي في دماغك ده.

- لـمّا نشوف آخرتها مع العاشقة الولهانة.. يللا.

***

اتفقت حسناء وأحمد أن يلتقيا بعيدًا عن الجامعة حتى لا يراهما أحدٌ؛ حفاظًا على صورتها، وكان هذا اللقاء مختلفًا عن أي لقاءٍ سابق؛ فهذا اللقاء الأول بعد فترة طويلة من الحديث المتواصل هاتفيًّا، وكتابيًّا عن طريق تطبيقات التواصل، فلم يمر يومٌ منذ التقيا في العام الماضي إلى بداية



هـذا العـام إلا واطمـأن عليهـا، وقـد حكـت لـه عـن نفسـها أشـياءَ كثـيرة، وتعمّقـت في حديثهـا وباحـت لـه بـأسرار خطـيرة، ومواقـف آلمتهـا مـن بعـض شـباب الدفعـة أنفسـهم؛ وأحمـد ينصـت لهـا وكان يسـتمع بـآذان مصغيـة، ويغمـره شـعورٌ يختلـط فيـه التعاطـف مـع الإعجـاب، واستشـعر أنهـا في حاجـة إلى مـن يقـف بجانبهـا في تلـك الأزمـة!

دقـت السـاعة الواحـدة ظهـرًا وهـو ينتظـر فـوق «كوبـري الجامعـة» كـما اتفقـا، ولكنهـا لم تـأتِ حتـى بعـد نصـف سـاعة مـن انتظـاره، ولا تـرد عـلى الهاتـف وتكتفـي بإلغـاء اتصالـه؛ انتابـه شـعور القلـق والشـك في الوقـت نفسـه، وقـرر أن يُلَقّنهـا درسًـا عقِـبَ وصولهـا.. حـاول أن يتصـل بهـا للمـرة الأخـيرة، وبعدهـا سـينصرف عـلى الفـور، في هـذه المـرة ردَّتْ عليـه وأبلغتـه بـأن أمامهـا فقـط دقيقتـين وتصـل، ولم تعـطِ لـه فرصـة كـي يتحـدث: «أنـا عارفـة إنـك متعصـب وهتقتلنـي أول مـا تشـوفني.. اهـدَ بـس ولـمّا آجـي هفهمـك»، ونزلـت أمامـه من شـاحنة نقـل عامـة فـور إغلاقهـا المكالمـة، ونظـرت إليـه بلطـف وهـي تعتـذر بنـبرة هادئـة متقطعـة:

- صـلِّ عـلى النبـي وخليـك مبتسـم كـده لحـد مـا آخـد نَفَـسِي.. اسـتمرَّ عـلى ابتسـامته وبادلهـا النـبرة نفسـها:

- خير؟.. إيه أخّرك كده؟ قلقتيني عليك!



– وأنـا جايَّـة قابلـت رقيـة وهايـدي داخلـين الجامعـة، فيـدوب سـلمت وخلعـت منهـم بهـدوء مـن غـير مـا أكـذب والحمـد لله وجيـت، عشـان كـده كنـت بَكَنسـل.

– من غير ما تكذبي إزاي؟!.. قولت لهم إيه يعني؟

– لأ ماتخافـش ماقلتلهمـش إني جايَّـة أقابلَـك يعنـي، أنـا بس قُلـت لهـم إني رايحـة مشـوار وبعديـن هـروّح، وهمّـا أصـلًا كان شـكلهم عاوزيـن يطرقـوني؛ فحتـى ماسـألوش رايحـة فـين.

– آاااه.. بس مين رقية وهايدي دول؟

– ها؟ مين؟!.. صاحباتي، المهم ما علينا.. وحشتني.

– أنـتِ أكـتر.. ثـم التفتـت إليـه بعدمـا كانـا يتحدثـان ووجهاهمـا متجهـان نحـو ميـاه النيـل (لأنهـما يعتقـدان أن تبـادل النظـرات لا يجـوز!)، وأعطتـه عُلبـة صغـيرة.

– إيه دي؟!

– دي هديـة صغـيرة كـده عجبتنـي فاشـتريتها لـك.. نظـر إليهـا نظـرة عابـرة؛ وسُرَّ قلبُـه وهـو يفتـح العلبـة، ووجـد بداخلهـا سـاعة يـد زرقـاء اللـون ومسـبحة خشـبية مزركشـة باللـون نفسـه، ثـم تنهـد وهـو يـردد:

– الله.. الله.. جامـدة جـدًّا، عرفـتِ منـين إني بحـب اللـون ده؟



- عرفت وخلاص

- جزاكِ الله خيرًا

- جزاني وإياك.

***

أسرعتْ رقية إلى محاضرة «العَرُوض[3]» التي شوّقتها «حسناء» إلى حضورها مصاحبةً هايدي، وصلتا إلى المدرج بعد دخول الدكتور بقليل ولكن لم تستوعبا تلك الأصوات العجيبة داخل المدرج؛ أتحول المدرج إلى غرفة موسيقى؟!.. سمح لهما أستاذ المادة بالدخول، واستأنف حديثه عن كيفية تقطيع الأبيات الشعرية بشكل عروضي:

- نعود لحديثنا عن التقطيع العروضي، ينقسم البيت الشعري إلى شطرين، أو جزئين، كل منهما ينقسم إلى عدة مقاطع تسمى تفعيلات؛ فهيًّا نطبق عمليًّا بتقطيع الأبيات التالية:

يا أيُّها الشَّادي المـُغَرِّدُ في الضُحَى

أهْوَاكَ إنْ تُنْشِدْ وإنْ لَمْ تُنْشِدِ

ويكون على الشكل التالي بعد تقطيعه:

مُتَفَاعِلُن مُتَفَاعِلُن مُتَفَاعِلُن

مُتَفَاعِلُن مُتَفَاعِلُن مُتَفَاعِلُن ...

٣ - علم «العروض» يدرس الشعر العربي من حيث الوزن والموسيقى



وكان يُنشد أثناء تقطيعه ويَطْرُق بيده على المنصة التي أمامه، وهُم يُعيدون وراءه ذاك الطَّرْق والتغني بالشعر؛ غيَّر هذا الجو الرائع من حالة هايدي الحزينة، وزاد حبَّ اللغة العربية لدى الدرعمية الصغيرة الأخرى، وأعربت هايدي عن إعجابها بعدما غادر الدكتور المدرج.

- إيه ده يا بنتي أنا كنت فاكرة إن دار علوم دي الدكاترة كلهم مكشرين وبيتكلموا بجعلصة وحاجة عك كده، المادة دي جامدة جدًّا، والدكتور ده روش طحن، ده أنا هاجي أحضر معاكِ على طول.

- أولًا- اسمها دار العلوم مش دار علوم يا بتاعة آداب وتاريخ الفراعنة أنتِ (قالتها وهي تُشير إليها بسبابتها وترفع أحد حاجبيها مازحةً).. ثانيًّا- صراحةً أنا كمان أول مرة في حياتي أحب الشعر كده، مش زي الشعر بتاع أولى اللي كنت بَحْفظه ومش فاهمة أنا بقول إيه، العروض ده لذيذ ورايق.. تيجي نحضر المحاضرة اللي بعدها ولا نخرج؟

- لأ، استني نحضر بقى أدام دار علوم.. قصدي «دار العلوووم» طلعت حلوة كده، ده أنا أفكر أحول بقى.

- لأ يا ماما خلِّيك في آداب إحنا عددنا كبير والدنيا حر مش ناقصة، بس بس الدكتورة دخلت.



كانت المحاضرة التالية في مادة (أحكام الأسرة)، وكان موضوعها عن الخِطبة والزواج؛ انتبهت الفتاتان جيدًا للحديث، نظرت الدكتورة إلى ملابس معظم الطالبات، وبدأت تتحدث عن نفسها وقتما كانت في هذه السن، وقصّت لهم قصة التزامها، بعدما كانت لا ترتدي الحجاب من الأساس، وكيف كان لأساتذة كليتها هذه الأثر في ذلك.

– الأهم من الشكل الخارجي هو الباطن، ما ينفعش أكون مسلمة ولبسي واسع وما شاء الله شيخة ماشية، لكن مش محافظة على عباداتي، وفي جيلكم ده فاكرين الالتزام مظهر، والعلم بالدين للأسف قليل جدًّا، وتلاقي البنت تكلم الولد عادي جدًا، وتقول إحنا مش بنتعدى حدود التعامل!.. لأ يا بنتي الحكاية مش كده خالص، من الأساس مافيش حاجة اسمها تعامل ولا حدود تعامل، القرآن بيقول: «ولا متخذي أخدان . ولا متخذات أخدان»[٤] وخدن يعني صاحب! لكن لو الظروف حتمت التعامل هنا يختلف الأمر، وتيجي تقول لي طب يا دكتورة هو أنا إزاي هتجوزه من غير ما نعرف بعض ونتكلم؟.. يا ستي اعرفيه لما يخطبك، وهي دي الحكمة من الخِطبة إن كل واحد يعرف التاني، لكن بحدود هنفصّلها بعدين.

٤ - ذكرت الآيتان في سورتي (النساء: آية ٢٥، والمائدة: آية ٥)



ومـن الآخـر هـو مـش هـيرضى يتجـوزك وأنـتِ بتتكلمـي مـع كل الزمـلاء كأنهـم إخواتـك، نخوتـه مـش هتسـمح لـه بكـده.. سـيبكم بقـى مـن إنـه يقولـك إنـه متفتـح وواثـق فيـكِ والـكلام ده، هـو برضـو راجـل.. ومافيـش راجـل يسـمح لنفسـه إن جوهرتـه يشـوفها غـيره، إحنـا نَصْـدُق مـع الله، وهـو ييـسر لنـا كل الأمـور، وعسـى أن تكرهـوا شـيئًا وهـو خـيرٌ لكـم...

أحسـت هايـدي أن الـكلام خـرج مـن فـم الدكتـورة إلى قلبهـا، وكأنهـا رسـالة مـن الله لهـا؛ وقـررت أن تتعلـمَ مـا يجـب أن تكـون عليـه الفتـاة المسـلمة، ودعـت الله سرًّا أن يـصرف عنهـا كل مـا يشـغلها عـن عبادتـه حتـى ولـو كان «خالـد» الـذي تعلـق قلبُهـا بـه.

- مش واخدة بالك من حاجة يا رقية؟

- إيه؟!.. مش واخدة بالي لأ.

- مـن سـاعتين كانـت حالتـي النفسـية زي الزفـت، وجيـت المحـاضرة الـلي قبـل دي نسِّـتْني حـالي مـن الجـو والتطبيـل الـلي كان فيهـا، وبعدهـا كلام الدكتـورة الـلي كأنـه رسـالة مـن ربنـا، وبيأكـد كلامـك.

- سبحان الله!

- بحبك جدًّا يا بِت يا رقية.



- أحبَّكِ اللهُ يا حبيبتي والله أنا أكتر، ربنا يديمِك لي.

- بُصِّي بقى.. أنا هشيل موضوع «خالد» ده من دماغي نهائي، وهصلي النهارده صلاة استخارة، ولو ربنا شاء إني أتجوز «عادل» ابن عمي هرضى بده ومش هتردد.

احتضنتها رقية وهي تُعرب عن سعادتها قائلةً: ربنا يحفظِك ويثبّتِك يا قلبي، وإن شاء الله ربنا هيرزقك الخير.. يلا نمشي بقى؛ علشان كده هيفهمونا غلط بالأحضان دي.

- ما يفهموا اللي يفهموه بقى.. هتروّحي ولا هتعملي إيه؟

- آه هروّح.. صراحةً مش قادرة، والمحاضرة اللي جايَّة أدب وأنا مش عاوزة أبهدل حالة الهبل الشعوري اللي أنا فيها دي.

- طب رَوَّحي لوحدِك بقى.. أنا هرُوح السيدة عند بابا أجيب منه مصروف الشهر، وبعدين أرجع البيت عند ستي.

- طب ما أنتِ كده كده في طريق «المترو» يعني هنمشي سوا.



- لأ، أنا بصراحة مش عاوزة أركب «مترو» أنا هروح من المنيل وبعدين أركب «مترو» السيدة وأروّح.. ما تيجي معايا أنتِ وبعدين ابقي اركبي اتجاه المرج.

- مش عارفة!

- بطَّلي رخامة وتعالي، وأهو هنعدي من كوبري الجامعة ونشوف النيل ونشم هوا.

- اممم.. طيّب.. ماشي.. نعمل إيه بقى بنتنا برضو.

خرجتا من باب الجامعة الرئيس، وركبتا سيارة من أمام باب الجامعة وانطلقتا.. وعاد أحمد وحسناء إلى «كوبري الجامعة» بعدما خرجا من «الأوتوبيس النهري» الذي تقع مرساه تحت الكوبري مباشرة...

***



يوسوس الشيطان في صدورنا، وتصل وسوسته إلى قلوبنا مباشرةً؛ فنتبع خطواته واحدة تلو الأخرى دون تمريرها على العقل.

محمد الباسم

الفصل السادس

طرقت رقية باب شقتهم وهي تدندن بيت شعرٍ بالتقطيع العروضي الذي تعلمته وتقول:

بُحور الشِّعْرِ وَافِرُهَا جَمِيلُ ... مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن فَعُولُ

سَلُو قلْـبِي/ غَـدَاةَ سَلَا/ وَتَابَا ... لَعَلْـلَ عَلَـ لْـ/ جَمَـالِ لَهُـو/ عِتَابَا[5].

مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن فَعُولُ ...

– بس بس إيه اللي أنتِ فيه ده عندنا ضيوف – قاطعتها ليلى وهي تفتح الباب–

– ضيوف؟!.. مين؟

– طنط مريم صاحبة ماما

– أم خالد؟

٥ - لأمير الشعراء أحمد شوقي



- خالـد مـين يـا بِـت؟!.. مـا لِـك مـش عـلى بعضـك كـده ليـه؟!

- ده عقبال عندك تأثير العَرُوض.

- آاااه.. طب خُشِّي ما تكسفيناش.

دخلـت غرفـة الجلـوس مصاحبـة لليـلى، وصافحـت مريـم وجلسـت بجوارهـا:

- أهـلًا وسـهلًا يـا خالتـو.. أنـا برضـو بقـول هـو البيـت منـور زيـادة النهـارده، أتـاري حضرتِـك منورانـا.

- يـا سـلام! بنتِـك أونطجيـة يـا هنـاء.. مـش طالعالِـك خالـص.

- لأ.. دي رقيـة الـلي في قلبهـا عـلى لسـانها.. بـس مـن سـاعة مـا دخلـت الكليـة وهي بقـى لسـانها بينقـط...

- بينقط إيه يا ماما؟!

- بينقط عسل يا حبيبتي.

- كنت بحسب.

- ربنـا يحفظهـا لـك يـا هنـاء.. مـا شـاء الله ..وأنـتِ بتدرسي في إيـه بقـى يـا رقيـة.

- في كلية دار العلوم – القاهرة



- ربنـا يوفقِـك يـا حبيبتـي.. خالـد ابنـي برضـو في جامعـة القاهـرة.

تذكـرت كلام «هايـدي» بمجـرد سـماع اسـم «خالـد»، وصمتـت حتـى لا يَـزِلَّ لسـانُها بـأيّ شيء، ثـم اسـتأنفت:

- المهـم حضرتِـك عاملـة إيـه يـا خالتـو؟.. مامـا قالـت لي إنكـم كنتـوا أصحـاب أوي مـن أيـام الدبلـوم.

- آه يا حبيبتي وجيران كمان.

- ربنـا يبـارك في حضرتِـك.. ودقّ جـرس البـاب أثنـاء الحديـث، نهضـت ليـلى، وقبـل أن تتحـرك لتفتـح؛ قامـت مريـم لتودعهـن:

- ده شكله خالد.. عن إذنكم بقى يدوب ألحق أروّح.

- تروحـي فـين؟.. الأكل جهـز ماينفعـش تمـشي، لازم تتغـدوا معانـا.

- ربنـا يعـزك يـا حبيبتـي.. مـش هينفـع واللهِ، مـرة تانيـة معلـش.

خرجـت هنـاء معهـا لتودعهـا، وفتحـت البـاب فوجـدت «خالـدًا» واقفًـا أمامـه وعينـاه في الأرض، ربـت عـلى صـدره وأومـأ برأسـه مشـيرًا إلى هنـاء: «سـلام عليكـم.. إزي حضرتك يـا خالـة؟».. وأصرّت عـلى الذهاب مع ابنهـا مودعـةً صديقتها،



ووعدتها أن تُكرر الزيارة مع زوجها في وجود محمود قريبًا، وظلّت رقية بغرفة الاستقبال التي يطل بابها على باب الشقة، وتجلس بأحد أركان الغرفة حتى لا يراها.

***

الجميع نيام وأحمد وحده في غرفته يستلقي على سريره ويشعر بالفتور والأرق ويده تمسك بهاتفه، والشياطين تُحيطُه من كل جهة، وهو في حرب معها، كلّما تغلّب على أحدهم وقف أمامه من هو أقوى وأغلظ؛ حتى هُزم ووقع في ذنبٍ، وعقِبه غمره الندم واستحقار النفس، وكاد يبكي من شدة ألمه النفسي، ومن محاولاته الفاشلة المستمرة في الإقلاع عن هذا.

لم ينتظر كثيرًا بعد هذا الندم، وهرول إلى دورة المياة واغتسل وتوضأ، وشرع في الصلاة توبةً إلى ربه وطلبًا لمغفرته، وظلَّ يستغفر ويطلب العون من ربه إلى أن سمع المؤذّن يُنادي: «الصلاة خيرٌ من النوم»؛ ابتسم وشُرح صدره، وهمَّ مُسرعًا إلى المسجد كي يغتنمَ ركعتين بالدنيا وما فيها.

أُقيمت الصلاة، وكبر الإمام تكبيرة الإحرام، وكان أحمد يقف بالصف الأول خلف الإمام تمامًا، وتلا الإمام في الركعة الأولى قول الله تعالى:



﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [٦] ﴾

اقشعرَّ جسده وذرفت عيناه دمعًا، وخشع قلبه لهذا، وجلس يستغفر الله بعد الانتهاء من الصلاة، ثم قام وأمسك بمصحف وظلّ يقرأ حتى أشرقت الشمس؛ قام وصلى ركعتين، وعاد إلى بيته مُسرعًا، ونام وقلبه يشعر بالاطمئنان.

***

يجلس والد هايدي السيد «عبدالله» مع ابن أخيه «عادل»، ودخان السجائر يملؤ الغرفة، ليتفقا على زواجه من هايدي، سواءً أرَضيت بذلك أو رفضت.

– بص يا ابني أنتَ مش غريب وفاهم الظروف ماشية إزاي، ومش محتاج أقولّك إن «هدى» عنيدة ودماغها أنشف من الحديد، ولازم تمشّي اللي في دماغها، لكن في الأول والآخر صغيرة ومش عارفة مصلحتها فين، وأنا

---

٦ - سورة آل عمران: آية:١٣٥ - ١٣٦



مـش هلاقـي أحسـن منـك يصـون بنتـي...، قاطعـه عـادل بصـوت يملـؤه الشـغف:

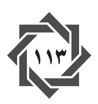
- أنـتَ عـارف يـا عمـي إني بحبهـا وهي مـش مدّيـاني وِش، وبتعتـبرني أقـل منهـا في المستوى؛ عشـان ماكملتـش تعليـم، وبصراحـة مـش متخيـل إني أتجـوز غيرهـا، ومسـتعد أعمـل أي حاجـة؛ عشـان تـرضى بي، لكـن برضـو محتاجـك تسـاعدني أقنعهـا، وماعنديش أي مشـكلة إنها تكمل دراسـتها بعد الجواز.

- ماتقلقـش هـي إن شـاء الله ربنـا يهديهـا وتسـمع الـكلام، بـس أنـت دُورك تحبّبْهـا فيـك: يعنـي حسّسـها بالاهتـمام، ومـش محتـاج أشرح لـك تعمـل ده إزاي، وأهـي فاضلهـا سـنتين وتخلـص جامعـة، أهـو تكـون جهِّـزت حالـك، وبعديـن نفاتحهـا في الموضـوع تـاني.

- سـنتين إيـه بـس؟!.. أنـا جاهـز أتجـوز مـن الصبـح وأنـت عـارف كـده، ومـش ممانـع إنهـا تيجـي تكمـل تعليمهـا بعـد الجـواز.

- هـو أنـتَ كـمان عاوزهـا تتجـوز في البلـد؟! ده أنـت كـده كأنـك بتقولهـا ارفضينـي مـن قبـل مـا تعـرض عليهـا الجـواز، وهـي كـده كـده مـش عـاوزة، ومـا هتصـدَّق تلاقـي حِجَّـة.

- أومـال أتجـوز فـين؟.. شـقتي وجاهـزة ومـش ناقـص غـير العروسة.



- على كل حال نبقى نتكلم في الموضوع ده بعدين مش وقته.

رنَّ هاتف عبدالله وكانت هايدي مَن تتصل، أمسك هاتفه وردَّ:

- ألو.. إزيك يا حبيبتي؟.. وجدتك عاملة إيه؟

- الحمد لله يا بابا كويسين .. أنت أخبارك إيه؟

- الحمد لله زي الفل أهو.

- كنت عاوزة أقول لك حاجة.

- خير؟!.. محتاجة حاجة؟

- لأ، أنا بس كنت بكلمك عشان أقولك إني صليت استخارة عشان موضوع جوازي من عادل!

- اممممم.. يا رب خير.

- خير إن شاء الله.. أنا موافقة! وهعدّي عليكم بكرة إن شاء الله.

استعجب وصاح وهو ينظر إلى ابن أخيه: «كفَّارة يا عم.. رضيت عنك ووافقت تتجوزك!».. تجحَّظَت عيناه، وانتفض من مكانه يقبل رأس عمه، وهو لا يصدق آذانه.





بعد أسبوع دخلت هايدي كلية دار العلوم مع صديقتها رقية لتحضر محاضرة العروض معها كما وعدتها، وفي طريقهما إلى القاعة التقتا حسناءَ بالقرب منهما، عانقتها رقية بحفاوة وكأنها لم ترَها منذ عام كما تفعلان كل يوم؛ دلالةً على قوة المحبة بينهما، لكنَّ هايدي تظاهرت بالحب ونظرت إليها نظرة توحي بأن هناك أمرًا ما، لم يكن هذا أثر الانطباع الأول الذي كاد أن يتغير مع الوقت، بل أمر آخر لـمّا تُعربْ عنه بعد!

ارتبكت حسناء وأدارت وجهها نحو القاعة ووضعت يدها على كتف رقية، وجذبتها مازحةً وتقدمتا عن «هايدي» نحو القاعة، ثم توقفت فجأةً واستأذنت منهما، وأخبرتهما أنها ستحضر في مدرج آخر حيث تنتظرها صديقة أخرى؛ تعجبت رقية من هذا الموقف غير المألوف، والتفتت إلى هايدي متسائلةً:

- هو في إيه؟!.. ما لِك أنتِ وهي كده مش طبيعيين ليه النهارده؟ أنتِ سلمتي من تحت ضرسك، وهي واضح إنها مش عاوزة تحضر معاكِ وجريت!

- مافيش حاجة يا رقية، عادي هو إحنا من إمتى وإحنا بنقبل بعض أصلًا؟!

- هو أنتِ لسّه شايلة منها من أول مقابلة؟



- ممكن!

- ممكن إيه بس؟!

- يا ستي أنتِ تاعبة نفسك ليه؟ يللا نحضر المحاضرة وخلاص.

- لأ، أنا لازم أفهم، مش موضوع الانطباع الأول ده، في حاجة تاني، إيه؟!

أدارت هايدي وجهها وهي تتأفف مُجيبةً: بُصي يا رقية تعالي نحضر دلوقتي وبعدين نبقى نشوف المواضيع دي، وأقول لك عَمَلْت إيه في موضوع الجواز كمان.

- طيِّب.. لما أشوف.

***

خرجت عُلا من كليتها متجهةً إلى أحد المحال لتشتري مشروبًا يُرطِّب جوفها، ولتغيرَ من حالتي الأرق والوحدة اللتين تُسيطران عليها في غياب صديقتها «مارفيللا» في هذا اليوم، فتحت إحدى الثلاجات وأخرجت عبوة عصير مثلجة، وانتقلت إلى المحاسب (الكاشير) وأخرجت النقود لتدفع ثمنها؛ وجدت يدًا تُزيح يدها.. «عليَّ أنا دي».. التفتت فوجدته أمين!

- متشكرة أنا هدفع.



- إحنا لسّه هنتناقش؟.. خلاص دفعت.

- ميرسي .. - قالتها ورأسها منحنيًا حياءً-

- أنتِ لسّه زعلانة من الموقف إياه؟.. قالت وهي ترفع رأسها وتتسع شفتاها سعادةً، وتوجّه عينيها نحوه: لأ خلاص.. اللي فات مات.

- يعني خلاص؟.. مش زعلانة؟

- لأ خلاص عادي.

- أنتِ اسمك إيه؟

- عُلا.. أنتَ قُلت لي اسمك إيه؟

- أمين .. أاا ميين.

- تشرفنا يا أاا مييين.

- بس على فكرة برضو شكلِك حلو أوي وأنتِ متنرفزة.

رفعت حاجبيها تعجبًا مُحدقةً فيه وهي تهز رأسها دون أن تنطق، ثم استأنفت حديثها: بس على فكرة إيدي تقيلة كمان، ومايغُرَّكش عضلاتك دي!

- ده أنا أخاف بقى!

- أيوا.. بس على فكرة صوتَك حلو.

- عجبك؟

- يعنـي هـو مـش حلـو أوي يعنـي.. بـس عجبنـي، وسـارا يتعرفـان:

- كلمينــي بقــى عــن نفســك: بتحبــي إيه،بتكرهــي إيــه، يعنــي كل حاجــة عنــك

- إمممم، ده أنت هتصاحبني بقى!

- ده لـو مـش هيضايقـك يعنـي.. (يضايقنـي مـين؟.. ده أنـا مـا صدقـت) قالتهـا في نفسـها، ثـم أردفـت:

- لأ عــادي مافيــش مشــكلة.. أنــا اســمي عُــلا عــماد، ١٧ ســنة وشــويّة، بابــا مهنــدس اتصــالات وشــغال بــرا مــصر، وبحــب عبــد الحليــم، وأغــاني عبدالحليــم...

***

لم تنتظـر حسـناء واتصلـت بأحمـد كـي يقابلهـا عـلى الفـور؛ لتخـبره بأمـرٍ مهـم جـدًّا، ربـما يغـير علاقتهـما تمامًـا، أسرعـت إلى بـاب الجامعـة الرئيـس لتنتظـره هنـاك، هـرول هـو إليهـا، وهـو لا يعلـم مـاذا تريـد، ويتمنـى أن يكـون خـيرًا، ركبا سـيارة متجهـة إلى مدينـة الهـرم حيـث تسـكن بالقـرب مـن هنـاك.



- في إيه؟ جايباني على ملا وشي كده ليه؟

- عاوزة أقول لك على حاجة مهمة.

-خير؟ في إيه؟؟!

- ممكن تكون دي آخر مرة أقابلك أصلًا؟

- ليه؟!

- بُص.. أنا كان في واحد من جيراننا خاطبني، وفسخنا من كم شهر يعني تقريبا أول ما بدأت أكلمك كده.

- يعني سبتيه ليه؟

- هو إيه اللي سبته ليه؟ مش بحبه!

- وبعدين؟

- صراحةً أنا اتلككت؛ عشان كان في مشكلة على الشَبْكة، وماصَدَّقت وفسخت معاه، وكمان بابا ماكانش عاجبه اللي هما عاوزينه.

- آه.. إيه المشكلة دلوقت؟

- المشكلة إنه وافق على اللي إحنا كُنّا عاوزينه، وبابا موافق عليه جدًّا، ومش عارفة أخلع منه إزاي؟!

- طب والعمل؟!.. أنا أبويا مش موافق خالص إني أخطب من دلوقت.. هنعمل إيه؟!



- مش عارفة!.. أنا غصب عني لازم أوافق دلوقتي، غصب عني مش عارفة أعمل إيه!

- طب وأنا؟!

- مش عارفة بقى.. وبصراحة إننا نتقابل كده حرام أصلًا.

- حرام أصلًا؟!.. ده أنتِ تقريبًا كنتِ بتقابلي كل الدفعة، وقلتِ ده بعضمة لسانِك.

- أعمل إيه يعني أنا دلوقتي يا أحمد يعني؟.. مافيش قدامي حل غير كده.

برزت عروق جبهته وتجحَّظَت عيناه مُحدِّقًا فيها، وهو يطلب من السائق أن يتوقف كي ينزل، وتركها وهو يقول: براحتِك.. أنتِ حُرَّة .. وربنا يوفقك في حياتك.

***

بعدما انتهت المحاضرة، أصرَّت رقية ألّا تحضر بعدها، وتخرج كي تستفهم ما الأمر من هايدي، خرجتا من المدرج، وكادت أن تصطدم رقية بأحمد الذي كان يُسرع غاضبًا إلى قاعة المحاضرة التي كانتا فيها، التفت إليهما واعتذر، ثم أكمل سيره إلى القاعة، لم تشغل رقية بالها بهذا الموقف وأدارت وجهها نحو «هايدي»، وشرعتا في السير مستفهمةً:



- خرجنا أهو ومش هسيبك غير لـمَّا أفهم.

- ده أنتِ دماغِك ناشفة، شبر ونص بس جبل في العند.

-شكرًا يا نخلة.. فهميني بقى.

- بـصي يـا سـتي في الأول كـده أنـا اسـتخرت، ولاقيـت في ارتيـاح ناحيـة عـادل، وبلّغـت بابـا إني موافقـة، واتفقنـا عـلى كل حاجـة كـمان.

أومـأت رقيـة برأسـها متجاهلـةً هـذا، وترغـب في الانتقـال سريعًـا إلى الموضـوع الآخـر؛ اعترضـت هايـدي عـلى ذلـك، وربّعـت يديهـا، وهـي ترفـع أحـد حاجبيهـا أعـلى الآخـر، واسـتأنفت متعصبـةً:

- طـب مـش هقـول حاجـة غـير لـمّا تدينـي اهتـمام، وتركـزي في كلامـي.

- خـلاص يـا سـتي حقـك علـيَّ، قـولي وأنـا كلي لـك آذان مصغيـة عـلى رأي حسـناء.

- ماشي.. ونبقى نشوف موضوع ست ابتلاء دي بعدين.

- طب خُشِّي في الموضوع وبلاش تغتابيها.

- المهـم.. اتفقنـا إننـا هنتجـوز بعـد مـا أخلـص السـنة دي، وهنسـكن في شـقة في القاهـرة هنـا السـنتين دول، وبعـد كـده نسـافر البلـد بعـد مـا أخلَّـص بـإذن الله.



- الله.. مبارك يا حبيبتي، وتيجي لنا الجامعة وأنتِ شايلة رقية الصغيرة ونلعب بيها.. وإياكِ بقى ما تسمِّيهاش رقية.

- لأ يا قلبي ما ينفعش أسمي حاجة تانية أساسًا، بس هي تبقى عسل زيك كده.

- ماشي يا طحينة.. وأنا عندي كتاب رائع عن الحياة الزوجية اسمه «في أحكام الأسرة» لدكتورة «ناهد الملا» هبقى أديهولك؛ علشان تمشوا على السُنة من أول يوم.

- ماشي يا ستي، وعقبالك لـمَّا نفرح بيكِ.

- أنا فرحانة لِك جدًّا والله يا هدهد، وإن شاء الله يكون خير لك ما دام ده اختيار ربنا.

- إن شاء الله يا حبيبتي، أنا بصراحة لسّه في قلبي انجذاب لخالد، لكن إن شاء الله هيروح مع الوقت، وأنا رضيت باللي ربنا كتبهولي والحمد لله.

- الحمد الله.. خُشِّي بقى على موضوع حسناء.

- يا خراشي عليك لما تكوني عايزة حاجة؛ بتفضلي تزني زي النحلة.

- معلش، معلش قولي بقى بطلي رخامة.



- بُـصِّي بقـى.. هـو كل واحـد حـر في تصرفاتـه، وكل واحـد ربنـا هيحاسـبه لوحـده، لكـن ماجيـش أقـول لِـك ده حـرام وأنـا أعملـه عـادي.

- حرام؟ وتعمليه؟!.. مش فاهمة، هو حصل إيه؟

- فاكرة لـمّا روّحنا سوا وعدينا على كوبري الجامعة؟

- آه!

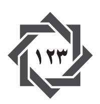
- لما كنـتِ أنـتِ مشـغولة وبتتكلمـي مـع محمـود في التليفون وإحنـا في العربيـة؛ بصيـت بالصدفـة عـلى الكوبـري لاقيـت ابتـلاء بتاعتـك دي واقفـة مـع الـواد الـلي كان هيخبطـك جـوا ده، والـلي مخلينـي متأكـدة إن مـش حـد غيرهـا إنهـا شـافتني سـاعتها!.. وارتباكهـا مـن شـوية ده أكـبر دليـل عـلى إنهـا هـي.

- يا الله! أنتِ متأكدة؟!

- أيـوا يـا بنتـي أنـا شـوفتها بعينـي، وهـي أول مـا شـافتني تنَّحِـت وسـابته وجريـت!

- بس إحنا ليه نُسيء الظن؟!

- ظـن إيـه بـس دلوقتـي؟.. واحـدة واقفـة مـع واحـد بعيد، وواجعـة دماغنـا بإنــه حـرام حـرام، وعاملـة فيهـا شـيخة، وتقوليـلي بنُـسِيء الظـن؟



- سيبك سيبك ما لناش دعوة، وبرضو نُحسن الظن.. يلا أنا هروَّح مش هحضر تاني.

تركت هايدي في الجامعة وركبت «مترو الأنفاق»، ورأسها تستحضر مواقف حسناء، وكلامها عن «أحمد» بالأخص، وكيف كانت تحاول بكل الوسائل أن تحجب تفكيرها عنه، وتشوّه صورته أمامها!

ووصلت البيت بوجهٍ شاحب ودخلت مباشرة إلى غرفتها، ولم تمزح كعادتها مع ليلى، لاحظت ليلى تلك التغيرات في حالة رقية منذ عودتها، لكنها لم تسألها عن أسبابها، وانتظرت حتى تجلسا كعادتهما كل مساء في جلسة التجويد.

أَتَتْ رقية ولم تُحضِر مصحفها هذه المرة، وجلست بلا مبالاة بفكر شارد؛ فاغتنمت ليلى الفرصة كي تستفسر عن تلك الحال المتغيرة.

- رقية!.. انتفضت وانتبهت إليها «نعم»

-ما لِك؟! من ساعة ما رجعتي من الجامعة وأنت متغيرة.. في حاجة حصلت؟

أجابتها وهي تنظر إلى الأرض وتهز رأسها في خجل وبصوت خفيض:



-صراحةً آه.. بس أنا مش عارفة ليه متضايقة رغم إن الموضوع مايخصنيش أصلًا!

- طب احكي يمكن يكون عندي حل.

- السنة اللي فاتت، أول ما دخلت الجامعة وحوِّلت لدار العلوم كان في إنجذاب قلبي كده لواحد معانا في الدفعة اسمه «أحمد زغلول»، بس أنا ماعلقتش نفسي بيه ودعيت ربنا يبعده عن تفكيري، والحمد لله حصل، بالذات لمّا «حسناء» ذكرتني بإنهماينفعش أتعلق بيه.

- تمام.. فين المشكلة هنا؟

- المشكلة في «حسناء» نفسها.. هايدي قالت لي إنها شافتها معاه على كوبري الجامعة الأسبوع اللي فات؛ أنا قدمت حُسْن الظَّن، وما كترتش في الكلام، لكن صراحةً في كذا حاجة بتأكد سوء الظن ده.

- زي إيه؟!

- مرة سابت معايا شنطتها عشان تتوضأ، وتليفونها رنّ؛ لاقيت اسم المتصل «زغلول»، ولمّا سألتها قالت لي: ده رقم زوج عمتها، وبعدين استأذنت مني وراحت تتكلم بعيد رغم إنها بتتكلم قدامي عادي دايمًا، ورجعت قالت لي: معلش أنا هعدي على عمتي؛ فلازم أمشي دلوقتي، ولاحظت «أحمد» كذا مرة يبص علينا وهي معايا! كنت



بقـول يمكـن مـش قصـده، أتاريـه كان بيبـص لهـا، وهـي الفترة الأخـيرة دايـمًا تتحجـج بـأي حاجـة وتمـشي!.. أعمـل إيـه يـا أبلـة ليـلى؟.. أنـا خايفـة أكـون فاهمـة غلـط وظالماهـا!

- بُـصِّي يـا رقيـة، كلنـا بنغلـط، وهـي مـش مـلاك؛ يعنـي ممكـن يكـون فعـلًا في حاجـة بينهـم، وبـما إنـك شـايلاه مـن دماغـك، فخـلاص، وكأنـك ماعرفتيـش حاجـة؛ عشـان ماتسـببيلهاش أذى ولا تجرحـي مشـاعرها، وبرضـو أحسـني الظـن، وادعـي لهـا.

- حاضر.. إن شاء الله هعمل كده.

ثـم خرجـت مـن صمتهـا الـذي عـمَّ المـكان بعـد نصيحـة ليـلى، وسـألتها فجـأة بنـبرة هادئـة: «هـو الحـب حـرام؟!».. ضحكـت ليـلى مـن نبرتهـا وسـؤالها، ثـم أجابتهـا في جديـة:

- هـو الحـب نفسـه مـش حـرام، بـس الـلي النـاس بتعملـه هـو الـلي حـرام!

- مش فاهمة!

- أقولـك يـا سـتي.. الإمـام ابـن القيـم - رحمـه الله- قـال: «إذا حصـل العشـق بسـبب غـير محظـورٍ، لم يُلَـمْ عليـه صاحبـه، كمـن كان يعشـق امرأتـه أو جاريتـه ثـم فارقهـا وبقـي عشـقها غـير مفـارقٍ لـه، فهـذا لا يُـلام عـلى ذلـك، وكذلـك إذا نظـر نظـرة فجـأة ثـم صرف بـصره، وقـد تمكـن العشـق مـن قلبـه



بغير اختياره، على أن عليه مدافعته وصرفه...[7]» سبحان الله كنت بقرأها النهارده!

- يعني إني أحب كده مش حرام، لكن التفكير والانشغال ده من الشيطان، صح؟!

- بالظبط كده...

- بس أنا غصب عني بأنشغل وأفكر حتى لو عاوزة أنسى!

- لأ يا حبيبتي كده الشيطان هو اللي بيشغلك، وأنتِ بإيدِك تشغلي نفسك بحاجة تاني.. وليكن مثلًا اشغلي نفسك بالمذاكرة والاستغفار والذكر، أي حاجة تبعدي بيها الشيطان عنك وخلاص، أمَّا بالنسبة للشباب فالأمر مختلف شوية.

- مختلف إزاي؟!

- البنت شغلت نفسها أو ما شغلتش ماينفعش تروح تطلب إيده، لكن هو اللي هيختار؛ فالمفروض لـمَّا ينجذب يشوف هو إمكانياته الأول تسمح له يتقدم ويتجوز ولا لأ.. إذا كانت تسمح وكل شيء تمام؛ يبقى يتوكل على الله ويستخيره ويستشير أهله، ويروح يطلبها من أبوها.. لكن شُغل أنا معجب، وشويّة شويّة تكبر المشاعر ويتعلقوا

٧- روضة المحبين - الإمام ابن القيم صـ ١٠٦



ببعض ده ما ينفعش، وهبقى أديكِ كتاب «روضة المحبين» تقرأيه بعد ما أخلصه إن شاء الله.

- جميل جدًّا.

- قومي هاتي المصحف بقى وكفاية رغي.

- حاضر.

***

استلقى أحمد على سريره وعقله مشغول ويفكر بما حدث، ولا يستطيع إدراكه

- أوووف.. أنا اللي غلطان من الأول، كم مرة عديت لها.. كل يوم تيجي تقول لي ده فُلان بص لي بطريقة مش كويسة، فلان وقفني في الكلية وسمعني كلام وحش! وأنا آخد لها حقها، بوظت علاقتي مع معظم زمايلي وكرَّهت الناس فيَّ، ومستوايا الدراسي قل بسببها، وجزائي في الآخر إنها تبيعني في أول محطة كده؟.. يا الله! ده أنا ما كُنتش بَفَوِّت يوم إلا وكنت أطَّمِّن عليها مرتين تلاتة.. طب يا ترى كل الحكايات اللي هي حكتها دي حقيقة ولا كان كله لعب بي وبس؟!

وفتح هاتفه وتنقل بين الصفحات والتطبيقات، ورويدًا رويدًا سحبه شيطانه إلى مكان آخر، ظلَّ يُصارع كعادته،



لكنه لم يلبث برهةً إلا وغاب عقله عن التفكير، وغفل قلبُه عن إيمانه ووقع في ذنبه الذي حاول مرارًا أن يُعالَج منه ولم يستطع.

استحقر نفسه وانتابه الندم ولم يشعر بنفسه إلا وهو يستيقظ قبل الفجر بنصف ساعة، نهض من على سريره، وهرول إلى دورة المياه ليغتسل، وهو يتألم ويعاني مما هو فيه، ويتعجب من رحمة الله الذي يوفقه وييسر له دائمًا رغم عصيانه! سمع المؤذن ينادي «حي على الصلاة» عقب انتهائه؛ انطلق إلى المسجد ولسانه يستغفر وقلبه فاتر، يشعر بأن لا قيمة له وكأنّه خرج من رحمة ربه.

قرَّر هذه المرة أن يتجرأ ويخرج من خجله ويطلب النصيحة من الشيخ «مصطفى» إمام المسجد؛ توجه إليه بعد انتهائه من أذكار ما بعد الصلاة، وقلبه ينتفض من الخجل، وجلس بجواره وشرع يحكي ما يؤلمه، وأضاف قصته مع حسناء.. ربت الشيخ على كتفه، ونظر إليه بوجه بشوش وهو يردد:

- ما شاء الله، ما شاء الله.. كُونك عرفت المشكلة فده أول طريق لحلها.. اللي أنت فيه ده طبيعي جدًّا في مرحلتك دي، لكن ربنا أمرنا بحفظ الفرج، وأنت ما شاء الله سمتك بيقول إنك رجل محترم وملتزم، وكونك وقعت في معصية فكل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين... الـ إيه؟



- التوابون.

- الله يفتح عليك.. التوابون، كُن من التوابين، اُصْدُق مع ربك وتُب توبةً نصوحًا.. ابتلع ريقه وهزَّ رأسه استحياءً، وقال وهو يرثي حاله: بَتُوب وأعود للذنب تاني كأني ما تُبْتِش، وكأني مش في وعيي في وقت الذنب!

- اشغل نفسك بأي حاجة تانية، واجهد جسمك في الرياضة، وما تديش لنفسك فرصة تفتكر ذنبك ده، انساه تمامًا كأنه ماحصلش.. وحتى لو وقعت تاني تُب واستغفر ولو أذنبت ألف مرة في اليوم.. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[8]﴾؛ فمهما كان ذنبك ما لم تُشرك بالله اوعَ تيأس.

- تمام.. وسحب الشيخ كُتيِّبًا صغيرًا بعنوان «العادة السيئة» وأعطاه إياه:

- خد الكتيب ده اقرأه كويس، وإن شاء الله يساعدك .. أما بالنسبة للبنت اللي سابتك؛ فاحْمِد ربنا إنه جعل ده سبب؛ عشان ترجع له.

8- سورة الزمَر: آية 53



- بس إحنا كُنَّا محافظين على الحدود اللي بينا.. يعني مش كُنّا بنسلم بإيدينا وحتى لما كُنّا نقعد مع بعض كُنّا بنغض البصر تمامًا؛ يعني ما وصلناش لدرجة فيها تحريك للمشاعر.

تبسّم الشيخ قائلًا: يا حبيبي كونك تُخرج معاها أو تكلمها في التليفون ده حراام، ودي كده خلوة.. انتفض وحدّق بعينيه، وقال وهو يعتدل بجلسته بعدما كان ظهره منحنيًا: يا ربي!.. يعني ده كله كان حرام؟!

- أيوا يا حبيبي ده كله كان بيغضب ربنا، حتى وإن كانت نيتك خير.

- بس أنا بحبها فعلًا!

- الحب يا ابني مش مجرد حبّة مشاعر ونظرات وكلام، اللي بيحب حاجة بيحافظ عليها لآخر لحظة.

- بس أنا حافظت عليها، وما سببتلهاش أي أذى وكلامنا كان خالي تمامًا من أي حاجة حرام.

- كونك خرجت واتكلمت واتعلقتوا ببعض ده أذى؛ لأنك دلوقتي مش ضامن إنكم لبعض، وده هيأثر عليكم، لكن الحب الصح إنك تحافظ على قلبك وقلبها من التعلق لحد ما ربنا يجمعكم وبعدين تفرغوا المشاعر دي، ثم قال مازحًا: حتى تلاقوا حاجة تتقال وتعيشوا اللذة بالحلال، بدل ما خلصتوا كل الكلام...



كان كلام الشيخ بمثابة مفتاح الطريق لتغيير أحمد، وتَرْكِهِ لتلك العادة التي تُنَغِّص عليه حياته، وقرر من وقتها أن يخطط للابتعاد عن ذلك بعزيمة قوية بعد الاستعانة بالله - عز وجلَّ - ؛ ببحث عن طريقة لحجب تلك المواقع التي قد تُعيده من جديد، وعزم على أن يمنع نفسه من التفكير من الأساس، وكلما خطر بباله ذلك شَغَل نفسَه بأمرٍ آخرَ.. طَوَى الورقة التي كتب فيها خُطَّته، ووضعها في درج مكتبه، وصاح بصوت قوي: إن شاء الله هقدر.

وأمسك بمصحفه ليقرأ ورده اليومي من القرآن كما اعتاد، شرع في قراءة سورة النور، وظلَّ يرتل ويجوِّد بصوته العذب إلى أن وصل إلى قول الله - عز وجلَّ - ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...[9]﴾ استوقفته الآيه، وشعر أنها رسالة خاصة ليُتِمَّ ما بدأه دون توقف.

انتقل إلى والده، ولمَّح له بضرورة الزواج، وأنه قد اقترب من التخرج، ومعظم الشباب في سِنِّه قد تزوجوا، وحدَّثه عن ضرورة الزواج؛ في هذه المرحلة وسط الفتن التي تُحيط به من كل جهة، وتعجب من رد والده، الذي تفهَّم مقصده ووافقه الرأي، وطلب منه أن يختار من يراها مناسبة، وفور تخرجه سيخطبها له!

---

٩ - سورة النور: آية ٣٣



كـرّرت مريـم زيارتهـا لصديقتهـا هنـاء بعـد حـوالي عـام منذ زيارتهـا الأولى، لكـن هـذه المـرة لم تكـن مجـرد زيـارة وُدٍّ بـين صديقتـين، فهـي لم تـأتِ وحدهـا وأتـى معهـا زوجهـا وابنهـا «خالـد» وابنتهـا «خديجـة» التـي تصغـره بقرابـة عـام ونصـف، جـاءت محملَّـةً بواجـب زيـارة فخـم مـن خـيرات الريـف زرعًـا وطيـورًا.

رحَّـب أصحـاب البيـت بزائريهـم خـير ترحيـب، ودخـل خالـد ووالـده مـع محمـود إلى غرفـة الاسـتقبال الرئيسـة، واتجهـت مريـم إلى غرفـة صديقتهـا، أمّـا الصغيرتـان فدخلتـا غرفـة رقيـة، وتكفلـت ليـلى وحدهـا بتحضـير واجـب الضيافة.

ولـمَّحت مريـم أن ابنهـا قـد كـبر، وأن النسـب مـن أهـل الثقـة والخُلـق خـير حسـب؛ فَهِمَـتْ هنـاء مرادهـا، وصارحتهـا بالـرد دون إبهـام:

- والله يـا مريـم إحنـا مـش هنلاقـي أحسـن منكـم نناسـبه ونسـتأمنه عـلى بنتنـا، لكـن البنـت لسّـه فاضلهـا سـنة وتخلـص جامعـة يعنـي لسـه بـدري.

- بـدري مـن عمـرك.. مـا أنـتِ متجـوزة وأنـتِ لسّـه في الدبلـوم، وبعديـن هـو مـين اللـي قـال إننـا هنجـوز دلوقتـي؟.. إحنـا بـس قُلنـا نشـوف رأيكـم وبعـد كـده اللـي فيـه الخـير يقدمـه ربنـا، وأهـو كلـه بالخنـاق إلا الجـواز بالاتفـاق، ومـش



هناخدها غصب عنها.. وأنا بصراحة مش هلاقي أحسن من بنتك في أخلاقها.

- الله يكرمك.. على العموم نبقى نكلم محمود ونشوف رأيها، وربنا يقدم اللي فيه الخير.

- على البركة.. وتغيرتْ ملامح وجه مريم بعدما كان يملؤها السرور بكلام صديقتها، وسألت: صحيح يا هناء.. هو مافيش أخبار عن أبو محمود؟!

أجابتها بنبرة رثاء، وقد تغرغرت عيناها بالدموع:

- لأ والله يا مريم من يومها وماحدش عارف عنه حاجة ونحتسبه فيَ تعداد الأموات لحد ما ربنا يطمنَّا.

- ربنا يرده سالم غانم ويجمع شملكم.

- آمين.

وبدورها خديجة كانت تُكَرِّس تركيزها في كل حركة ولفظ يصدر عن رقية، تلك مهمتها التي كُلفت بها من قِبَل أخيها، دون أن يُخبر أحدًا غيرها بذلك، حتى والدته لم تكن تعلم أنه يفكر في ذلك، وكانت تجس نبضهم فقط قبل أن تحدِّث ابنها في ذلك الموضوع؛ حتى لا تعلقه بالفتاة!

بعدما انتهت الزيارة أخبرت هناء ابنتها عمَّا دار بينهما بخصوص خطبتها؛ لم تُعرب رقية عن رأيها في هذا، لم



يكـن هـذا بسـبب قبـول أو رفـض لشـخص خالـد، إنـما كان كل مـا يشـغلها هـو صديقتهـا التـي تزوجـت وكانـت تُحبـه، بـل لا يـزال هنـاك ميـل إليـه تخفيـه؛ لأنهـا لا يجـب أن تفكـر في ذلـك وهـي في عِصمـة رجـل آخـر، صمتـت قليـلًا ثـم أخـبرت والدتهـا أنهـا سـتفكر في الأمـر، ثـم سـترد عليهـا في وقـت قريـب، وأسرعـت إلى هاتفهـا واتصلـت بهايـدي؟

- سلام عليكم ورحمة الله

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. روق روق إزيك؟

- الحمـد لله يـا حبيبتـي بخـير حـال.. أنـتِ عاملـة إيـه وإزي زوجك؟

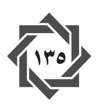
- الحمـد لله كلـه تمـام، وجـوزي زي الفـل، ومـش مخلينـي محتاجـة أي حاجـة، كأن ربنـا عوضنـي بيـه سـنين الحرمـان مـن حنـان الأم.. أنـتِ مـال صوتِـك كـده؟ في حاجـة؟!

- صراحةً هو في حاجة، وأنا بكلمك علشانها.

- خير يا حبيبتي قلقتيني، في إيه؟

- جايلي عريس!

- مـا شـاء الله، الله أكـبر، ودي حاجـة تزعـل كـده؟.. ده مـين الـلي أمـه داعيـة عليـه؟!.. أقصـد داعيـة له؟!



- ماهي المشكلة في هو مين.

- مـا لِـك يـا بنتـي هـو حـد سـمعته وحشـة ولـلا إيـه؟.. اوعَ يكـون الـواد بتـاع الكليـة.

- لأ مش هو.

- أومال مين طيب؟!

- خالد!

- خالد؟!.. خالد مين؟

- بتـاع آداب!.. حـضرت الذكريـات أمـام عينيهـا، لكنهـا سرعـان مـا تذكـرت عهدهـا مـع الله بـأن تصـون زوجهـا في الـسر والعلـن حتـى في مشـاعرها، وقالـت وهـي تُصـارع قلبها:

- ماله طيب يا روق روق؟.. هو هيلاقي أحسن منك؟

- المشكلة مش في كده.

- أومال؟!

- المشـكلة فيـكِ أنـتِ، مـش عايـزة أكـون سـبب في إنـك تزعـلي؛ علشـان حاجـة زي دي.. ردّت هايـدي وهـي تمسـح دمعتهـا التـي سـالت دون أن تشـعر:

- إخـص عليـك يـا رقيـة.. أنـا الحمـد لله رضيـت باللـي ربنـا كتبهـولي، والحمـد لله أنـا أهـو مبسـوطة عـلى الآخـر.. اتـوكلي



على الله يا حبيبتي وربنا يسعدِك، ويديم محبتنا فيه، وأنا هبقى مبسوطة جدًّا وأختي أحلى عروسة في أحلى زفّة.

- ماشي يا حبيبتي، وربنا ييسر لِك ونشوفلك نونو قريب.. وأنا برضو هستخير ربنا، وإن شاء الله خير.

***

أغلقت هايدي الهاتف ووضعته بجوارها على الأريكة التي تجلس عليها، وفاضت عيناها دمعًا، وتذكرت أول لقاء التقته فيه في الجامعة، وحديثها معه في المحاضرات.. دخل عليها عادل واستعجب مما يراه، وظن أنه فعل أمرًا أغضبها، جلس بجوارها وضَمَّها متسائلًا:

- مالك يا حبيبتي؟.. في حاجة مزعلاكِ؟

- لأ مافيش حاجة.. صداع بس كده صعب شوية، وهاخد «إسبرين» وهيروح ماتقلقش.

- لأ إحنا لازم نروح للدكتور

- لأ مش لازم أنا هبقى كويسة إن شاء الله.

- لأ قومي إحنا كده هنعدي على الدكتور؛ عشان نشوف سبب تأخر الحمل إيه!.. انتفضت قلقًا ووجدت نفسها دون سبب توافقه الرأي، وأسرعت إلى غرفتها لتبدل ملابسها...



-هنحتاج نعمل شوية فحوصات على الرحم، لكن احتمال الحمل مش أكيد (قالها الطبيب وهو يصطحب عادل بعيدًا، بعدما قالت له إنها تشعر بألم شديد أسفل البطن ومنطقة الحوض، وإفرازات وردية مقرونة بآلام بعد المعاشرة)

- يعني مافيش أمل إنها تحمل؟!

- الله أعلم.. الفحوصات هي اللي هتبين ده، وربنا قادر على كل شيء.

- طيب الفحوصات دي هتاخد وقت قد إيه؟

-مش كتير إن شاء الله.

- خلاص ربنا يسهل، ونعمل الفحوصات.

***

تقف أمام المرآة تتزين استعدادًا للخروج لأداء آخر امتحانات الفصل الثاني من عامها الثاني، وتدندن مقطعًا من أغنية إنجليزية «**perhaps .. perhaps .. perhaps**»، وأخرجت خُصلة شعر من تحت حجابها، وعلى وجهها مساحيق (بودرة) من «المكياج» الخفيف.. تعطرت بعطر فاح في البيت كله، ووصل إلى خياشيم أخيها؛ دخل مستنشقًا لذاك العطر، قبل أن يشتعل غضبًا لِمَا رأت عيناه؛ وصاح في وجهها:



- إيه اللي أنتِ عاملاه ده؟! أنتِ إزاي هتخرجي كده؟!.. لم تعطِه اهتمامًا، واستمرت في تجهيز هِنْدَامِهَا؛ فاقترب منها وقد احمرَّت عيناه من الغضب، وجذبها من رأسها:

- هو أنا بكلم نفسي؟ شيلي القرف اللي على وشك ده.. نزعت يده وهي تثور في وجهه:

- أنتَ مالك.. أنا حرة.

- لأ مش حرة، ومش هتخرجي بشكلك ده.

- هخرج ومالكش فيه.. أنتَ مالك؟.. حد بيقولك تلبس إيه وماتلبسش إيه؟

- أنا راجل وأعمل اللي أنا عايزه.

- راجل على نفسك مش عليَّ، وهنزل كده غصب عنك.. وصاحت لتستنجد بأمها: يا ماماااا

خَطَتْ عفاف إليهما بخطوات هادئة؛ لأنها اعتادت على مثل تلك الصراعات اليومية بينهما

- في إيه.. مش هتبطلوا القرف بتاع كل يوم ده؟

- شوفي بنتك عاملة في نفسها إيه؟

- مالها؟ ما هي زي القمر أهي!

- يعني أنتِ موافقة إنها تخرج كده؟!



- أنـتَ مالـك.. سـبها تعيـش حياتهـا وتتمتـع بشـبابها، وماهـو كل البنـات بتلبـس كـده يعنـي هـي دي حاجـة غريبـة، وبعديـن مـا أنـت بتعمـل الـلي أنـت عايـزه وماحـدش بيعــترض.

- بـس أنـا راجـل ومـش هتعاكـس، ومـش بمشي في الشـارع وأنـا لابـس ضيـق، وأفـرّج النـاس على جسـمي.

- وهُمَّـا يبصـوا ليـه؟ كل واحـد حـر في نفسـه ويعمـل الـلي هـو عايـزه، وإيـه رأيك بقـى إني هـروح معاهـا الجامعة كـمان!.. أخرجـت عُـلا لسـانها استفزازًا لـه، وهـي تقـول بصـوت عالٍ: قشـطة عليـك يـا فُوفَّـا.. مجتمـع ذكـوري مُتَعفِّـن صحيـح.

- أنتوا حُرِّين أنا هريح دماغي وأغور من وشكم.

تركهـما وانـصرف ولا يعلـم إلى أيـن سـيذهب، وبداخلـه صراع بـين نخوتـه التـي تُحطمهـا أُمُّـه بدعـوى أنـه مهـما كـبر فهـو صغـير في نظرهـا، ولهـا الحـق أن تتدخـل في شـؤونه وواجـب عليـه إطاعتهـا، ومسـتقبله الـذي لا يعلـم ملامحـه، هـل لـه دور في الحيـاة أم سيظل تافهًـا كـما يـرون ويسـعى فقـط وراء أهوائــه؟!..

ربـما كان هـذا سـببًا في تمـرده عـلى جنس الإنـاث، ورغبتـه المسـتمرة في الانتقـام دون تفكـير في عواقبـه، لكنـه سُرعـان مـا أعمـل عقلـه واسـتيقظ ضمـيره:



- يمكن أنا اللي بَتصرَّف غلط؟!.. أو مش عارف إزاي أتعامل مع أختي ومُتَقَمِّص دور الراجل اللي لازم يسيطر وكلمته ماحدش يكسرها!.. لأ أنا غلطان في الحتة دي، أختي ما بقتش صغيرة، وأنا المفروض أكون الأخ والأب في غياب أبويا، لازم أعاملها كويس يمكن هي محتاجة لي في الوقت ده، محتاجة تشوف الضهر اللي تتسند عليه وهي مطمنة، ويمكن ما أقدرتش أظهر لأمي إني أقدر أتحمل المسؤولية وأوريها الراجل اللي تعتمد عليه!.. لازم أحاول حتى لو اضطريت إني أتنازل عن حاجات كتير، لكن أمي وأختي أهم من نفسي ومن كرامتي.

***

تتحرك شفتاها بآيات من القرآن، وقلبها ينبض نبضاتٍ تقطر حُزنًا، وتسيل دموعها على وجنتيها، وعيناها تتنقل بين مصحفها وشاشة عرض نبضات القلب، وأمها التي ترقد في غيبوبة تامة منذ ثلاثة أيام بعد نوبة قلبية تحت جهاز التنفس الصناعي (CMV)، بعدما سمح لها الطبيب بالجلوس جوارها بعد إلحاحٍ شديد منها.. تتألم في صمت، لا صوت سوى صوت دقات القلب التي يترجمها الجهاز وفقط.

وبخارج غرفة الإنعاش يجلس محمود وزوجته يدعوان الله بتعجيل شفاء تلك المريضة، وتكتم ليلى آلام بطنها وظهرها المتقطعة من حين لآخر حتى لا تتسبب في إزعاجهم.



اشـتدَّ الألم، ولم يعـدْ متقطعًـا كـما كان، بـل أضحـى مسـتمرًا؛ لم تســتطع الكتــمان هــذه المــرة، وصرخــت وهــي تنظــر إلى زوجهــا وقــد تصبـب جسـدها عرقًـا وتشـحب وجهُهــا، وأنفاسـها تخرج بصعوبـة، وعضّـت عـلى أصابعهـا بأشـد قـوة لديهـا:

- هولِد!.. الحقني.

أسرع ليُحـضر لهـا مـن ينقلهـا إلى غرفـة العمليـات.. اسـتلقت عـلى السريـر وكأنهـا تلفـظ أنفاسـها الأخـيرة، لا تتحمـل ألم الـولادة هـذا، تتلـوى وتعـضّ في كل شيء أمامهـا، لم تسـلم حتـى أيـدي الطبيـب مـن أسـنانها، وهـو في حـيرة يتنقّـل بـين غرفـة العمليـات وغرفـة الإنعـاش لعـل حالـة أمِّـه تحسّـنت.. الأمـر كـما هـو لا شيء تغـيّر!

وصـل الألم ذروتـه، وجهها شـاحب ورُوحهـا تنسـحب منهـا، ورأس مولودهـا تُسـحب برفـق مـن رحمهـا؛ تنهـدت تنهيـدةً تُوحـي بـأن آلامهـا قـد هـدأت، ولسـانها يحمـد متقطعًا: الحمـد لله.. الحمـد لله.

- ألــف مــبروك، بنوتــة زي العســل.. قالتهــا إحــدى الممرضــات لمحمــود بعــد عودتــه إلى غرفــة العمليــات.

غمرتـه السـعادة عقـب قـول الممرضـة، وهـرول إلى الداخـل كـي يـرى مولودتـه، حملهـا وأذّن في أذنهـا اليمنـى، ثـم أدارهـا



ليُقيم في اليسرى، وينظر إلى زوجته بعينٍ حاملةٍ للحزن والفرح في آن واحد.. حمد الله على سلامتك.

- الله يسلمك.. ماما عاملة إيه؟!.. أجابها وتغرغرت عيناها:

- مافيش جديد.. دعواتك.

- طب خلِّيك جنبها.. وما تقلقش عليَّ أنا كويسة، هي أهم دلوقتي.. ماتسبش رقية لوحدها.

- حاضر.

تنهدت رقية وهي تبسط يديها من الأرق، ورأسها كادت تقع من ثقل التعب، أغلقت مصحفها ووضعته على منضدة صغيرة بجوار السرير، واستلقت على الكرسي الذي كانت تجلس عليه، وأغمضت عينيها التي لم تنم برهةً منذ يومين، قبل أن تنهض على صوت آهات هناء.. «آاه.. يارب.. رقية.. محمود.. رقية.. رقية.»

- الله أكبر، ماما!.. حمد الله على سلامتِك.. ألف سلامة.

- فين محمود؟

- مع ليلى.. ليلى بتولد يا ماما.. يلا شِدِّي حيلك؛ علشان تشيلي البيبي.



- آااه.. الحمد لله.. جابت إيه؟.. مش عارفة ولدت وللا لسه، هروح أنادي محمود وأشوف.

- استني.. عادت بعدما خطت خطوة وتحملها السعادة لتحسن حالة والدتها.

- نعم.

- رقية.. مريم زي أختي، وهتحطك في عنيها، ما تزعليهاش وبِرِّيها.

- مش لـمّا أتجوز ابنها الأول؟.. ماتقلقيش، بس أنتِ تقومي بالسلامة وبعدين نشوف المواضيع دي بعدين.. هروح بقى أفرَّح محمود وأشوف ليلى عملت إيه.. ماتتحركيش كتير ولا تتكلمي زي ما الدكتور قال لحد ما آجي.. اللهم لك الحمد...

***



ما أبعدَ اللهُ عنكَ ما تُحِب إلا ليقرِّبَكَ إلى ما يُحِب.

محمد معتز السعيد



الفصل السابع

- فيروس حليمي!

فُوجِئ الطبيب عندما وصلته نتيجة تحاليل التنظير الخاصة بحالة «هايدي» بعد بضعة أيام، وكانت تؤكد وجود ذلك الفيروس المصاب به رحمُها!.. سحب كرسيّه إلى الخلف وهو يُفكّر في كيفية توصيل هذا لهما بطريقة تُطمئن.

وبالخارج ينتظر عادل وزوجته في استراحة طبيب أمراض النساء والتوليد إلى أن يأتي دورهما كما هو في ترتيب الكشف، والقلق يشغل عقليهما.. تُرى ما هي النتيجة؟ خيرٌ أم ماذا؟! ويحاول إخفاء هذا القلق بالحديث معها وتفقد حال دراستها ...

«مدام هايدي».. صوت مساعدة الطبيب قطع حديثهما.. دخلا غرفة الطبيب وقد هدأ القلق نسبيًّا؛ فابتسامة الطبيب خففت عنهما - اتفضلوا استريحوا



- خير يا دكتور.. طمنّا - اجتمع صوتهما وهما يجلسان-

- خـير إن شـاء الله.. لسّـه واصلنـي حـالًا نتيجـة الفحوصـات؛ أصابتهـما نبرتـه بالقلـق مـن جديـد!.. إيـه؟!

هـزَّ رأسـه وملامحـه يرتسـم عليهـا الحـزن: «فـيروس حليمـي» منتشر في الرحـم بشـكل كبـير، ولازم نشـيله في أسرع وقـت!

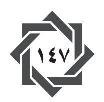
- يعني إيه؟!

- بصراحـة هـو مـش فـيروس بسـيط، لكـن لـكل داء دواء، وعشـان نتخلـص منـه هنعمـل جلسـات إشـعاعية أوليـة؛ لتحديـد حجـم انتشـاره، وبعديـن نسـتأصله وإن شـاء الله نبقـى أحسـن.. وأعطـاه ورقـة بهـا جـدول الجلسـات المطلوبـة، وأخـرى تحويـل إلى مستشـفاه الخـاص لإجـراء الإشـعاعات.. وعـادا إلى المنـزل ولا يـزال القلـق مسـتمرًا...

- أنـا خايفـة.. حاسّـة إن الموضـوع مـش سـهل، وكلام الدكتـور قلقنـي!

- يـا حبيبتـي مـا تقلقيـش.. هنعمـل الإشـعاعات الـلي قـال عليهـا دي، ويشـيل الفـيروس ده بـإذن الله، وتخلفيلنـا شـياطين صغـيرة.

- يا رب يا عادل، يا رب



واضَّجَـعَ عـلى السريـر وهــو يحـدّق عينيـه في السـقف، ويضــع ســاقًا فــوق الأخــرى، وشرع يمازحهــا قائــلًا:

– إحنـا إن شـاء الله نخلـف دسـتة عيـال.. لأ كفايـة نـص دسـتة بـس، نـرأف بحالـك برضـو.. نظـرت إليـه وقـد ابتسـم ثغرهـا:

– ليـه؟!. أنـت متجـوز أرنبـة؟.. هُمَّـا كفايـة اتنـين، وإن شـاء الله يبقـوا بنـت وولـد.. لأ لأ حـرام، إحنـا نسـيبها عـلى الله وهـو يرزقنـا بالذريـة الصالحـة إيـاك حتـى يبقـوا عـشرة، ثـم صمتـت لبرهـة، وقالـت: بـس أنـا برضـو قلقانـة!

– يييـي.. ده أنـتِ تخصـص نكـد.. اتحمـدي يـا شـيخة واسـكتي.. وتركهـا في قلقهـا ونـام.

***

تفاجـأت رقيـة بخطيبهـا ووالدتـه أمـام بـاب العنايـة المركزية فـور خروجهـا، أشـار إليهـا دون مصافحـة، وعانقتها الحـماة، ثم اسـتأذنت الطبيـب أن تدخـل لرؤيـة صديقتهـا، وتركتهـا رقيـة لتذهـب إلى أخيهـا.. فرحـت هنـاء عندمـا أقبلـت صديقتهـا، وقالـت وهـي تصـارع الأنفـاس:

– كويـس إنـك جيـتِ، عشـان عايـزة أوصِّيـكِ عـلى رقيـة قبـل مـا أمـوت!



– بعـد الـشر عليـكِ، إن شـاء الله تقومـي بالسـلامة.. قومـي يـا أختـي بـلاش دلـع.

– خلِّي بالِك منها يا مريم، اعتبريها بنتك.

– مـا تقوليـش كـده.. ربنـا يقومـك بالسـلامة ويبـارك في عمـرِك، ويخليـكِ لهـا.

وضـع محمـود صغيرتـه بجـوار زوجتـه، وقبّـل رأسـها، قبْـل أن تدخـل رقيـة، وتخبرهمـا بتحسـن حالـة أمهـا، وصـارت سـعادتها سـعادتين برؤيـة الصغـيرة:

– مـا شـاء الله.. حمـدًا لله عـلى سـلامتِك يـا لولـو، ولـد ولـلا بنو تة ؟

– بنوتة عسل زي عمتها.

– الله أكبر.. ربنا يُنبتها نباتًا حسنًا

– ماما عاملة إيه؟

– الحمد لله فاقت

– الحمد لله

– هرجـع لهـا تـاني بـس نشـوف مامـا ونيجـي.. وأخـذت بيـد أخيهـا متجهـةً إلى غرفـة الإنعـاش

تيت تيت تيت...

اللســانُ ودّع الــكلام، ضربــات القلــب تهــدأ تدريجيًّــا، شــحوبٌ في الوجــه، والجســد يخــرج أنفاسًــا متناثــرة.. توقــف النبـض وإشـارة الجهـاز صفـر! ذهبـت روح «هنـاء» إلى خالقها، وآخــر مــا قالــت « رو...».. أغمضــت مريــم عــين هنــاء، وصرخــت دون صــوت وســيل دموعهــا يقطــر عــلى جســد صديقتهــا الــذي وضعــت رأســها عليــه، وصــوت الصمــت يصاحبـه نحيبهـا، قبـل أن يـأتي الطبيـب ويُخرجهـا مـن الغرفـة.

يهـرول محمـود وأختـه خلفه كـي يـرى والدتـه التي لم يسـمع همسـها منـذ ثلاثـة أيـام، وصـلا إلى الطابـق العلـوي، نبضـات قلبهـما تسـارعت بمجـرد رؤيتهـما لمريـم التـي تجلـس، وتضـع يديهــا فــوق رأســها المنحنــي نحــو الأرض، وابنهــا الــذي شــحب وجهــه يقــف صامتًــا بجوارهــا وجهشــت عينــاه!.. يحدقـان بنظراتهـما نحوهمـا، ولسـان حالهـما يتسـاءل مـا الأمـر؟! تحــرك خالــد حذوهمــا واحتضــن محمــودًا.. البقــاء لله!

لم يشــعر محمــود بنفســه إلا وقــد ســقط عــلى الأرض وعقلــه شــارد لا يصــدق، وهرولــت هــي محاولــةً الدخــول إلى الغرفــة لكنهــا مُنعــت مــن الدخــول، جســدها يرتعــش، ولســانها لا ينطــق؛ وأغمــي عليهــا.



نُقلت عـلى نقّالـة إلى إحـدى الغـرف ليتفحصهـا الطبيـب، وأصبـح محمـود في حـيرة بـين زوجتـه النفسـاء، وأمـه المتوفـاة، وأختـه؛ طلبـت منـه مريـم أن يذهـب إلى أختـه ومعـه خالـد، وتظـل هـي حتـى يُـؤذن بنقـل الجثـة فالحـي أولى بالرعايـة الآن.. أخـبر محمـود الطبيـب أن أختــه لم تـأكل جيـدًا منـذ يومـين، وكانـت في حالـة إرهـاق شـديدة؛ واتَّضَـح أنهـا تحتـاج إلى نقـل دم؛ حـضّر ذراعـه ليسـحب الطبيـب منـه دمًـا، فهـو تعـود عـلى ذلـك، قبـل أن يمسـك خالـد بيـده.

– خلِّيـك أنـتَ يـا أسـتاذ محمـود.. أنـا هتـبرع، وحضرتـك روح خلـص الإجـراءات.

– أنا نفس الفصيلة، مش لسّه هنفحص فصيلتك!

– لأ مـا تقلقـش أنـا اتبرعـت لهـا قبـل كـده!!.. لم يعـطِ لكلامــه بــالًا، فالعقــل ليــس في حالتــه، وانطلــق لإنهــاء الإجــراءات...

***

نُقِلَـت جثّـة «هنـاء» إلى مسـقط رأسـها في محافظـة الشرقيـة، وكان يجـب عـلى محمـود ورقيـة ألَّا يغـادرا البلـدة قبـل انتهـاء العـزاء، وأصرَّ الشـيخ مصطفـى أن يبيتـا في بيتـه.. وهنـاك استقبلتْ خديجـةُ رقيـةَ لتمكـثَ في غرفتهـا إلى أن يحـين الرحيل، وكانـت تلـك الصغـيرة التـي تصغـر رقيـة بنحـو عـام ونصـف

تخفف عنها آلام الفِرقة التي سيطرت على شعورها وجعلت الحياة سوداء في وجهها، وتُذكرها بأنَّ الجميعَ راحلٌ، ولا أحدَ خيرٌ من النبي - صلى الله عليه وسلم-

وبعد يومين.. كان يجب الرحيل بعد انتهاء طقوس الدفن والعزاء، وكان أحمد على مشارف البلدة ينتظر سيارة ليسافر إلى القاهرة حيث اقترب العام الدراسي الأخير، ولابد من بعض الإجراءات ليلتحق بالسكن الجامعي أثناء خروج رقية بصحبة أخيها وخطيبها متجهين إلى الوجهة نفسها؛ وقعت عينه عليها لكنه لا يعلم من هي، وأين رآها من قبل؟!

وقفت السيارة وركب المنتظرون، واستقلَّ أحمد الكرسي الأمامي بجوار السائق، بينما جلس محمود وأخته خلف السائق مباشرة.. أخرجت مصحفها وشرعت في القراءة طوال الطريق، وهو انشغل بالتسبيح على مسبحته الزرقاء التي لا تفارق سبَّابَته، وخطر على باله كلام الشيخ بسرعة الزواج وأن يختار «ذات الدين» استنادًا للحديث النبوي»تُنْكَحُ المرأةُ لأربع: لمالِها، ولحسبِها، ولجمالِها، ولدينِها؛ فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يَدَاك» ابتسم، وأسند رأسه على الكرسي؛ فلمحت عينه رقية في المرآة بهيئتها وهي مُنكبة على المصحف وترتل شفتاها آياته.. اتسعت ابتسامته وقال دون صوت: لعلها إشارة إلهية.. اللهم عجِّل بذات الدين يارب!

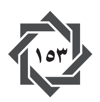


عادت رقية وأخوها إلى البيت وضاق صدرها منذ الدخول، دخلت على زوجة أخيها لرؤية الرضيعة الصغيرة، كادت حالتها تتحسن عندما رأت الصغيرة قبل أن تخبرها ليلى بأنها أسمتها «هناء»؛ تغرغرت عيناها بالدموع، وانسحبت مسرعة إلى غرفة أمها، واستلقت على سريرها، ومرَّت الذكريات على بالها، وظلَّت تبكي إلى أن غلبها النوم.

رأت والدتها في منامها وهي ترتدي رداءً أبيضَ، وتنظر إليها قائلةً:

- اضحكي يا رُقَيَّة.. عايزة أشوف ابتسامتك اللي بتفرحني، دموعِك دي بتعذبني، شيلي الغمامة السودا دي، ونوري الدنيا بروحك الجميلة، قومي وافرحي وما تزعلِنيش بدموعِك دي، وقبَّلت جبهتها وانصرفت؛ استيقظت من نومها وتبدلت حالها ١٨٠ درجة، من الحزن الكالح إلى السعادة العارمة، وقررت ألا ترتدي سوى الأبيض، وأن تكون سببًا لتخفيف آلام مَن حولها.

كانت الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل، والصمت يملأ البيت فور استيقاظها من ذاك الحُلم الذي أيقظ سعادتها الخامدة، وهرولت إلى دورة المياة وهي تتنهد فرحًا لتتوضأ وتصلي القيام كما كانت تفعل هناء كل ليلة في مثل هذا الوقت.. قد اقترب الفجر عقب انتهائها



مـن الصـلاة؛ ذهبـت إلى غرفـة أخيهـا وطرقـت البـاب برفـق لإيقاظـه للصـلاة.

حاولـت أن تتقمـص شـخصية والدتهـا في البيـت منـذ هـذه اللحظـة، وأن تُعـوّض نفسـها عـن فقدانهـا، كـما كان لزوجـة أخيهـا الـدور الأكـبر في سـد هـذا الجانـب؛ فهـي بالنسـبة لهـا أمًّـا ثانيـة منـذ أول يـوم أتـت فيـه إلى هنـا.

***

بـدأ العـام الجامعـي الأخـير لأحمـد، وتلـك الفتـاة التـي رآها في السـيارة لا تفـارق بالـه، يـودُّ لـو يعـرف مـن هـي وكيـف يتقـدم إليهـا، ويتمنـى أن يراهـا مـن جديـد.. خـرج مـن بـاب كليتـه وعينـه تبحـث عنهـا في كل مـكان، لا يعلـم لمـاذا يفعـل ذلـك، لكنـه يفعلـه بشـكل تلقائـي دون تفكـير؛ وإذ بـه فجـأةً يـرى «رقيـة» وحولهـا بعـض الزميـلات!

وجّـه النظـر إليهـنَّ وهـو يتسـاءل: «هـي دي فعـلًا، ولـلا أنـا بيتهيـأ لي؟! مـش معقـول تكـون هـيّ، أنـا مـش في فيلـم هنـدي أتخيـل البطلـة ألاقيهـا قدامـي!.. لأ هـيّ، والله هـيّ، طيـب أعمـل إيـه؟! لازم آخـد رقـم والدهـا وأتقـدم، لازم المـرة دي آخـد الخطـوات الصـح وأتقـي الله».

انتظـر بعيـدًا حتـى ابتعـدن عنهـا، لا يعلـم لمـاذا كُـنَّ يتحلّقن حولهـا، ولم ينشـغل إلا بكيفيـة الحديـث إليهـا.. كانـت قـد



خَطَت بضعَ خُطُواتٍ في بَهْوِ الكلية؛ اقترب منها وأوقفها مُعتذرًا على تلك الطريقة:

- سلام عليكم.. أنا متأسف جدًّا على طريقتي دي، لكن هُمَّا خمس ثوان بالظبط!

- حضرتَك عاوز إيه؟!

- صراحةً من غير مقدمات أنا معجب بشخصية حضرتِك، وعاوز رقم الوالد..

أشعرتها هذه الكلمات بالحرج، لكن لم تَدَعْ له فرصةً إلى أن يزيد، وردت عليه مباشرةً قبل أن يضيف جملة جديدة «حضرتك أنا مخطوبة.. سلام عليكم» .. انصرفت من أمامه وكلها خجل، وتقول في نفسها: «لو في نصيب ربنا هيسهل الطريق مهما حصل، وأنا بربي واثقةٌ»

- ربنا ييسر لِك ويحفظِك.. ما فيش نصيب!.. قالها أحمد فور انصرافها وقلبه يدق أسفًا، لكنه رضي بما كُتب له، ودعا الله أن يرزقه ذات الدين تلك التي ستشاركه حياته القادمة، ولعلَّ هذا كان اختبارًا من الله له لقياس قوة عزيمته على التوبة النصوح، وحمد ربه أن هذا جاء مبكرًا؛ حتى لا ينشغل بها ويُعلق بها قلبَه، وترك أمره للقدير المُدَبِّر.

شعرت بيدٍ تربت على كتفها؛ التفتت فوجدتها «حسناء» تنظر إليها بابتسامة تُخفي وراءها الكثير من الندم بعدما ابتعدت عنها دون سابق إنذار رغم حسن معاملتها، حدَّقت عينَيْها في وجه حسناء، ثم أشاحت بوجهها عنها وخطت بعيدًا؛ أسرعت لتُلحق بها، وضميرها تشتعل ناره:

- استني يا رقية.. أنا عارفة إني غلطت، وغلط كبير كمان، لكن خلاص الحمد لله عرفت غلطتي، وربنا يغفر لي بقى، وبعدين فين رقية المتسامحة البشوشة؟!

- معلش، شويّة ظروف يا حسناء.. ربنا يغفر لك.

- اللهم آمين.. طب مش هتقولي لي مبارك طيب؟!

- مبارك على إيه؟!

- كتب كتابي على ابن عمي بعد أسبوع وإن شاء الله بعد ما أخلص السنة دي هنسافر الكويت.

- بارك الله لكما.. بس مش أنتِ كنتِ مخطوبة لجاركم زمان؟!

- لأ، مافيش نصيب.. الحمد لله.

- ربنا يكتب لك الخير حيث كان.. عن إذنك.

التقت رقية بهايدي في مسجد البنات بالجامعة، وبعد انتهاء الصلاة، مكثتا في المسجد، وقصَّت لها ما حدث،



وكيـف كان ردّهـا، وتعتقـد أن هـذه طريـقٌ يسَّرهـا الله كـما دعتـه مـن قبـل، ولكـن كيـف وقـد اقـترب موعـد زواجهـا كـما هـو مقـرر عقـب انتهـاء العـام الـدراسي؟!

اعتدلـت في جلسـتها بعدمـا كانـت تجلـس جلسـة التشـهد، واسـتدارت نحـو هايـدي متسـائلةً:

- تفتكـري ربنـا اسـتجاب لدعـوتي، ووضـع محبتـي في قلبـه زي مـا دعيتـه زمـان، وإن دي سـبيل مـن سـبل التيسـير؟!

- مـش عارفـة!.. بـس يـا بنتـي أنـت مخطوبـة، وخـلاص كلهـا كـم شـهر وهتكتبـوا الكتـاب.. يعنـي هييجـي منـين السـبيل للـزواج بأحمـد كـده؟

- مش يمكن يحصل حاجة وما نكملش مع بعض؟!

- الله أعلـم بقـى.. بـس أنتِ مـا تشـغليش نفسِـك بالموضوع ده، وشـيلي فكـرة إن يحصـل حاجـة وتفركشـوا دي؛ عشـان كـده هتلاقـي نفسـك بتتلكّكِـي وخـلاص وفاكراهـا رسـالة مـن ربنـا، وبعديـن «خالـد» مـا شـاء الله مـا فيـش أحسـن منـه.

- عنـدك حـق يـا دودو.. هـو ممكـن فعـلًا يكـون شـيطان، تسـلميلي يـا حبيبتـي عـلى النصيحـة، ثـم سـألتها: بمناسـبة الجـواز صحيـح.. مـش هنشـيل لـك «نونـو» قريـب بقـى ولـلا إيـه؟!



- والله مش عارفة يا رقية! أديلنا كتير بنعمل تحاليل ورايحين جايين على الدكتور، ومافيش حاجة جديدة! وأهو الدكتور قال كلها كم أسبوع إن شاء الله وهَعمِل عملية.. بس أنا خايفة أوي وحاسّة إن الموضوع كبير أوي.

- معلش يا حبيبتي ربنا يراضيكِ، ويرزقك بذرية صالحة.

- اللهم آمين يا رب!

***

حان الوقت لإجراء العملية، وهايدي وزوجها ينبضان قلقًا، يحاول أن يتماسك أمامها حتى يُطمئنَ قلبها، وتلك الصائمة منذ الصباح استعدادًا للعملية التي لا تعلم ما هي منكبةً على المصحف، تتلو الآيات وتتوقف من حينٍ إلى آخر لتستغفرَ ثم تستأنف التلاوة، وتشعر وكأنها لن تخرج للحياة بعدها!

اصطحبتها الممرضة لترتديَ الملابس المخصصة للعمليات؛ استسلمت لأمر الله وتوكلت عليه، أما عادل فينتظر بالخارج ولسانه يهمهم بالدعاء لزوجته من شدة قلقه حتى أتاه الطبيب قُبيلَ دخول غرفة العمليات ليخبرَه بتفاصيلها:

- أستاذ عادل! دقيقة من فضلك.



- تحت أمرك يا دكتور.

- طبعًا حياة المدام عندك أهم من أي شيء...

- قلقتني يا دكتور.. هو في خطر عليها؟!

- إن شاء الله ما فيش خطر عليها ولا حاجة، لكن لو ما عملناش العملية دلوقتي أو في أسرع وقت هيبقى في خطر.. للأسف الشديد اتَّضَح لنا من الفحوصات والتحاليل إن رَحِم المدام مصاب بفيروس اسمه «الفيروس الحليمي» اللي هو للأسف سرطان في خلايا الرحم!

- إيه؟!.. يعني إيه؟

- يعني للأسف لو ما استأصلناش الرحم؛ هيبقى في خطورة على حياة المدام! وما قُدامناش حل تاني غير كده!

- يعني مافيش خِلفة؟!.. أومأ الطبيب تأكيدًا لكلامه.

- عن إذنَك.. سقط مكانه وهو يرثي حاله:

- يا لهوي!.. يعني مش مكتوب لي إني أكون أب؟! عملت إيه بس أنا في حياتي؛ عشان ربنا يبتليني بالبلوى دي؟!.. أستغفر الله العظيم أنا هكفر ولّا إيه؟! الحمد لله على كل اللي يجيبه ربنا، المهم هي تقوم لي بالسلامة، وكفاية عليَّ إني أشوفها مبسوطة.

بعد إجراء عملية الاستئصال ببضع ساعات استعادت وعيها بعد انتهاء مفعول الـمُخدِّر (البنج)، دخل عليها بوجهٍ بشوش حتى لا يجرح مشاعرها، وهي من الأساس لا تعلم ماذا حدث، مسح على رأسها وحمد الله على خروجها سالمةً، ولم يَزِد على ذلك حتى انتهت الإجراءات وعادا إلى البيت.

***

دخلت عُلا البيت قبيل غروب الشمس وقلبها يدق خوفًا وقلقًا، لا تودُّ أن يراها أحد، تلفتت في أرجاء غرفة الاستقبال ولم تجد أحدًا، يبدو أن والدتها نائمة، فهي تسهر إلى الصباح وتنام طوال النهار، وأخوها لا يعود قبل الثانية عشرة ليلًا.

تنهدت أنفاسًا متسارعة وأسرعت إلى غرفتها، وأغلقت الباب والنافذة بإحكام، ارتدت ملابس البيت، وأخفت ما كانت ترتدي تحت سريرها حتى لا يراها أحد، وقررت إلقاءها في صندوق المهملات العام في أقرب فرصة تُتاح لها.

استلقت على السرير والدموع سيول على وجنتيها، لا تنقطع مع تَكرار تجفيفها، ترى نفسها بلا قيمة بعد ما حدث، كيف سلمت جسدها بتلك السهولة؟ بل كيف وصلت لهذه الدرجة العالية من الثقة فيه، أهذا لأن كلامه المعسول لامس مشاعرها في وقت تحتاج فيه إلى كلمة طيبة؟!



نعـم كان يحبّهـا وقـدَّم أقـوى الدلائـل عـلى ذلـك، حـاول مـرارًا أن يتقـدم لِخِطبتهـا ورُفـض بحجـة أنهـا لا تـزال صغـيرة، ولكــن كيــف يــرضى لنفســه أن يفعــل ذلــك بمَــن أحبَّهــا؟! ألقـت اللـوم عـلى أبيهـا الـذي لم يُعـطِ لهـا فرصـة مـن الأسـاس كـي تحدثـه عنـه، ولم يُكلِّـف نفسـه بالعـودة ولـو لأيـام كـي يقابلـه، وتـرك الأمـر لأمهـا وأخيهـا، لكـن كل هـذا ليـس مُـبررًا لاسـتجابتها لطلبـه بهـذه السرعـة!

اسـودَّت الحيـاة في وجههـا، لا تعلـم كيف سـتواجه المحيطين بعـد تلـك الورطـة، لكنّهـا لا تـزال تثـق في حُبِّـه لهـا؛ رأت ذلـك في عينيـه واستشـعرت خوفـه عليهـا، وكيـف نـدم عقـب فعلتـه، ووعـده لهـا بـألّا يتركهـا.. ولكـن لماذا كل هـذا القلـق والخـوف؟! أليـس زوجهـا؟ نعـم زوجهـا وسـلّمها ورقتـي الـزواج العُـرفي دليـلًا عـلى أنـه لـن يتركهـا وتصديقًـا لحبـه.

قامـت واعتدلـت في جلسـتها وأخـذت نفسًـا عميقًـا، لـن تحـزن ثانيـة؛ فذلـك سـيلزمهم الموافقـةَ عليـه وسرعـة زواجهـا بـه كـما اتفقـا، كان لابـد مـن وضعهـم أمـام الأمـر الواقـع ليعلمـوا أنهـا ليسـت صغـيرة كـما يظنـون، كان لابـد مـن حدوثـه كـي يصـل حبهـما إلى هدفـه.

وأخرجـت هاتفهـا مـن حقيبتهـا لتتصـل بـ «مارفييـلا»، تريـد أن تفضفـض لهـا وتخبرهـا بـما داخلهـا، فهـي تعلـم مـا بينهـما جيـدًا، وكانـت سـببًا في تقويـة علاقتهـما، وسـاعدتهما في



الـزواج.. كـررت الاتصـال أكثـر مـن مـرةٍ ولا ردًّ، ثـم بعدهـا أُغلِـقَ الهاتـف!.. ارتبكـت حينـما سـمعت صـوت أقدام تتسـلل إلى غرفتهـا ببـطء، وفجـأة طُـرق البـاب.. «افتحـي يـا لولـو»

- لولو؟!.. مين برا؟

- عـم أمـين، افتحـي يـا بنتـي.. اقشـعرَّ جسـدها بمجـرد سـماعها الاسـم، وتعجبـت لأسـلوب عـلاء الـذي تغـيّر، منـذ متـى وهـو يدللهـا؟

- عاوز إيه يا علاء أنا هنام.

- مـا فيـش، كنـت هقعـد أرغـي معـاكِ شـوية، وجايـب شـوكولاتة كـمان!

- وده من إيه ده؟

- لوحده كده.. تخيلي!

مَشـت عـلى أطـراف أصابعهـا لتفتـح بـاب غرفتهـا وقـد جفّـت قطـرات دمعهـا، وبَـدَت في حالـة طبيعيـة، انتشـلت مـن يـده الحلـوى، ثـم أسرعـت في غلـق البـاب في وجهـه ولا تفهـم مـا يحـدث، وهـو بالخـارج قـد فـار غضبـه، لكنـه تذكـر عهـده الـذي اتخـذه منـذ عـام، واسـتطاع أخـيرًا أن يُنفِّـذ؛ فتريـث وداعبهـا قائـلًا:



- مـاشي مـاشي بتضحكـي عـليَّ؟!.. طـب أبقـى أشـوف وشـك بـرا الأوضـة.

***

نسمات الخريـف تعـم الغرفـة بُعَيْـد الفجـر، وهـدوء البيـت يُشـعِرُ بالراحـة النفسـية، إلى جانـب ترتيلهـا لآيـات القـرآن التـي تُغـذي الـرُّوحَ.. أغلقـت المصحـف وانكبّـت عـلى الأرض سـاجدةً لله سـجدةَ شـكرٍ؛ فقـد أتمَّـت رقيـة حفـظَ القـرآن كاملًا في تلـك اللحظـة، ثـم قامـت وخلعـت حجابهـا وسـحبت كـرسي مكتبهـا الصغـير، وأخرجـت دفـترًا صغـيرًا مـن المكتـب، قلّبـت صُفَيْحاتـه إلى أن وصلـت لصفحـة الأهـداف.. علَّمـت عـلى هـدف حفـظ القـرآن، ونظـرت إلى الهـدف التـالي «تعليـم القـرآن واللغـة العربيـة».

تذكّـرت والدتهـا في تلـك اللحظـة حينما كانـت تُحدثهـا عـن حُبِّهـا للغـة القـرآن، وأن هدفهـا الأسـمى في الحيـاة أن تكـون سـببًا في إحيائهـا، وإعـلاء شـأنها، تذكـرت ابتسـامتها وهـي تربـت عـلى كتفهـا وتدعـو لهـا الله بتحقيـق مـا تتمنـى، وعـادت بالذاكـرة إلى أن كانـت في الخامسـة مـن عمرهـا، وكانـت هنـاء تُمسـك بيدهـا لتعلمهـا الكتابـة؛ ذرفـت دموعهـا وتمنـت لـو أنهـا معهـا الآن وتشـاركها فرحتهـا.. رفعـت يديهـا إلى السـماء مناجيـةً ربَّهـا:



- يا رب اغفر لها وارحمها، وأسكنها فسيح جنانك، يا رب فقهني في دينك، وعلمني علمًا نافعًا، واجعل يا رب كل حرف أتعلمه وأعلمه في ميزان حسناتها.

جفَّفَت عَبرَاتها وتعاهدت أن تُعلِّم اللغة العربية لأبناء الفقراء واليتامى في مدينتهم دون مقابل كصدقة جارية على روحها.. نهضت من مكانها وانطلقت إلى المطبخ كي تُجهّزَ الفطور لأخيها قبل أن تذهب إلى الجامعة؛ لأن زوجته مشغولة بصغيرتها التي لا تُهنِّؤها بنوم.

عَقِب انتهائها من تقديم الفطور ذهبت إلى غرفتها لتَتَهيَّأ قبل الخروج، لكنها توقفت فجأة: «هايدي!.. يا الله! ده أنا نسيتها خالص»، أخرجت هاتفها لتتصل فوجدت الساعة لا تزال السادسة والربع صباحًا والوقت لا يسمح؛ ففضّلت أن تحدثها فيما بعد، وتطلب زيارتها بعد أخذ الإذن من أخيها أولًا.

***

انتصف الفصل الدراسي الأخير.. وتهيَّأت المضيفة الخاصة بعائلة الشيخ مصطفى وتزينت بالأنوار الملونة، ورُصِّصَت الطاولات والكراسي بشكل منظم، ووُضِعَت عليها المفارشُ المزخرفةُ استعدادًا لحفل شبكة ابنته خديجة وعقد القران في آن واحد، وبالداخل تتزين العروس



وبرفقتها رقية التي أتت باكِرًا لتكون بجوار خديجة التي ربطتها علاقة قوية بها قبيل وفاة أمها.

احمرَّ وجه العروس الأبيض من شدة السعادة، وقلبها يرفرف كعصفور صغير، وتتمايل يمينًا ويسارًا وتدور كالفراشة أمام رقية، أخرجت عُلبة «الشَّبْكة» لتُريها إياها، ورقية تنظر في سعادة.

– ما شاء الله ما شاء الله جميلة أوي الشبكة يا خديجة، مُبارك عليكِ يا حبيبتي

– عقبالِك أنتِ وخالد يا رُقَيَّقة

– رُقَيَّقَة؟ ها ها ها، حلوة دي! هانت كلها كم شهر إن شاء الله، بس هو أنتوا ليه مستعجلين كده؟ خالتو بتقول إن العريس لسّه بيدرس هو كمان!

– هو لسّه بيدرس بس عاوز ياخد راحته في الكلام معايا، وده كمان اقتراح بابا، بيقول هنأخر ليه؟ الرجل دخل البيت من بابه، وعاوز الحلال يبقى خير البر عاجله.

– ربنا يتمم لكم بخير يا رب.

– يا رب آمين.. وبصراحة هو محترم جدًّا، والشيخ مصطفى بص لي كده وقال لي: –بصي بقى يا بنتي النبي



- صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه» وأهو الواد على دين وخُلق، وخلينا نخلص منك بدري بدري بقى.

تعالت ضحكاتهما على أسلوب خديجة وهي تُقلد والدها، واخترق صوت الزغاريد جدران الغرفة، يبدو أن العريس قد وصل؛ هرول الفتاتان نحو النافذة؛ ليستكشفا سبب الزغاريد المفاجئ هذا.

قد وصل العريس بالفعل، ووجه العروس زاد بهجة، وصارت تدندن «ما تزوقيني يا ماما أوام يا ماما، ده عريسي هياخدني بالسلامة يا ماما» لكنَّ رقية وقفت مكانها وتغيرت ملامحها فجأةً فور رؤيته، وحدَّقتْ جيدًا في تعجب لما ترى...

***



النيّـة الطيبـة مِفتـاحٌ للأشـياء الجميلـة؛ فكـم مـن شـخصٍ رُزِقَ بنيّتِـه الصافيـة أكـثر ممـا يتوقـع ويتصـور.

حمدي غُنيم



الفصل الثامن

الأمـر يـزداد سـوءًا كل يـوم ولا تـدري مـاذا تفعـل! لا تعلـم لمـاذا لا تسـتجيب مارفيلـلا، وأمـين قـد نقـض عهـده وتخـلَّى عنهـا، ألهـذه الدرجـة أصبحـتْ رخيصـةً في نظـره؟ أم ذهبـت تلـك المشـاعر هبـاءً، أم أنهـا كانـت مُخطئـةً عندمـا اطمأنَّـتْ لـه واتَّبَعَـتْ قلبَهـا دونَ أن تفكـر في عواقـب الأمـور؟!

منـذ تلـك الحادثـة وهـي لا تذهـب إلى الجامعـة، وفي أغلـب الوقـت تفكـر فيـما حـدث، وعقلهـا مشـتت لا تعلـم كيـف تتـصرف، ولم تعـد تهتـم ببشرتهـا وهِنْدَامِهـا المعتـاد في البيـت؛ تجعَّـد شـعرها، وتجحَّظَـت عيناهـا مـن النـوم شـبه المنعـدم، وظهـرت عـلى وجههـا ملامـح الكـبر وهـي لـمَّا تُتِـم العشريـن بعـد، وكاد جسـدها أن ينحـل مـن قلـة الطعـام وعـدم انتظامـه، بـل زاد الجُـرح ألـمًا وقـد تأخـرت «الـدورة الشـهرية» عـن موعدهـا المعتـاد هـذا الشـهر! تأخـرت أسـبوعًا بأكملـه!



دخلت المطبخ لتحضير كأس ليمون؛ عسى أن تسترد صَفْوَها الذي عكَّرتْه الدنيا، أمسكت بالكُوب لتنظفَه جيدًا قبل أن تعصر الليمون؛ فهي موسوسة بالنظافة، ازدوجت رؤيتها ورأسها دارت؛ سقط الكُوب من يدها، ولم تلبث ثانية حتى سقطت على الأرض بعده!

انتفضت عفاف من مكانها عندما سمعت صوت الزجاج الذي كُسر، هرولت إلى الداخل؛ فرأت ابنتها مُلقاة على الأرض وتغيب عن الوعي؛ انقبض قلبها وظلت تُربت على وجهها حتى أفاقتها:

- ما لِك يا حبيبتي؟.. إيه اللي حصل؟

- مش عارفة يا ماما دوخت فجأة كده ووقعت.

- من قلة الأكل.. أنتِ ما لِك الأيام دي لا بتنزلي ولا بتاكلي كويس! في حاجة حصلت في الجامعة؟ حد مزعلك؟

- لأ لأ، ما فيش خالص، ما فيش لأ ما فيش، ما فيش حاجة مهمة، الامتحانات قربت بقى وما فيش محاضرات الأيام دي - كانت تتمتم بالكلام وجسدها يرتجف-

- طب قومي طيّب وأنا أعمل لك حاجة تاكليها.

ساعدتها لتجلس على كرسي بجانب الحوض وناولتها كأسَ ماء، وشرعت في تحضير الفطور.. لا تستطيع أن تأكل



لكنهـا اسـتجابت لطلـب والدتهـا وأكلـت رغـمًا عنهـا، حدَّقـت في وجـه أُمِّهـا وضغطـت عـلى أسـنانها، ووضعـت يمناهـا عـلى فمهـا ويدهـا الأخـرى تعـصر معدتهـا محاولـةً تخفيـف الألم، ثـم انكبّـت عـلى الحـوض وتقيّـأت كل مـا أكلتـه.

- اسـم الله عليـكِ يـا بنتـي، لأ إحنـا كـده لازم نـروح نكشـف ونشـوف في إيـه.

- لأ يا ماما ما فيش حاجة أنا كويسة.. بلاش دكتور.

- كويسـة إيـه؟ أنـا لسّـه هسـتنى لمـا تمـوتي قدامـي؟! يلـلا خلينـا نشـوف مالـك.

- برد بس في المعدة وهيروح.

- لأ، أنا مش مطّمنة.. هو الدكتور اللي هيطمنا.

***

قطعـت خديجـة انتباهـا وذهولهـا فجـأةً وهـي تعانقهـا مـن شـدة فرحهـا وعبراتهـا تجمّعـت في مقلتيهـا، ثـم تسـلّلَتْ عـلى وجنتيهـا وهـي تعانـق رقيـة.. وترتسـم عـلى وجـه رقيـة ابتسـامة دالـة عـلى فرحهـا، لكـن عقلهـا سـارح في دعوتهـا القديمـة، هـا هـي تظهـر معالمهـا، قـد اسـتجاب الله لهـا وأراحهـا مـن انشـغال عقلهـا بـه، وكانـت خِطبتهـا مرحلـة جديـدة في عهدهـا أمـام ربهـا، حتـى وإن راودتهـا



الأفـكار مـن جديـد؛ فقـد كُتـب لهـا أن تنتهـي الآن.

هنـا وهـي تـرى إشـارة قطعيـة أنهـا ليسـت لـه، نعـم هـو ذاك الـذي انشـغلت بـه، جـاء ليتـزوج مـن أخـت خَطيبهـا، الآن يجـب أن ينسـدلَ السـتار ويُعلـنَ نهايـة تلـك التخيـلات التـي شـغلتها.. أخـذت نفسًـا عميقًـا تحمـل ذراتـه الارتيـاح:

– الحمـد لله، مـا فيـش نصيـب.. انتبهـت إليهـا خديجـة؛ فبـادرت بالسـؤال عـن حالهـا التـي تغـيرت فجـأة:

– ما لِك يا رقية؟.. وإيه اللي ما فيش نصيب؟!

رفعـت رأسـها بعدمـا كانـت وجهتـه نحـو الأرض عقـب العنـاق، ووجهـت نظرتهـا نحـو خديجـة في انتشـالٍ لتركيزهـا، واتسـعت ابتسـامتها أكثـر

– مـا فيـش يـا حبيبتـي.. بـارك الله لكـما وبـارك عليكـما وجمـع بينكـما في خـير.

– اللهـم آمـين، وعقبالِـك أنـتِ وخَلُّـود.. مسـتَنِّية اليـوم ده بفـارغ الصـبر، وأنـا شـايفة خالـد لابـس البدلـة كـده وقاعـد جنبـك عـلى الكوشـة.

ثـم ضمَّـت خديجـةُ علبـة الذهـب التـي كانـت تمسـك بهـا إلى صدرهـا، وشرد ذهنهـا وهـي تقعـد ببـطءٍ عـلى حافـة سريرهـا، ونظـرت إلى رقيـة وقـد ظهـر عـلى وجههـا القلـق



فجـأةً بعـد السـعادة التـي كانـت تغمرهـا، وقالـت بصـوت لا يـكاد يسـمع:

- أنـا خايفـة!.. خايفـة أكـون اتسرعـت لـمّا وافقـت عـلى أحمـد، ولسّـه مـش اتعرفـت عليـه أوي، مـش عرفـت طِباعـه ولا أسـلوب حياتـه مـاشي إزاي.. وثِقَتـي في بابـا وفي اختيـاره كانـت هـي السـبب إني أوافـق بسرعـة، ومـش طلبـت حتـى وقـت أفكـر، واللـي مخوفنـي أكـتر إن الحـاج هـو اللـي رشـحني لـه مـش هـو اللـي اتقـدم لوحـده.. قاطعتهـا رقيـة وهـي تُخـرج ضحكـة سـاخرة:

- يعنـي عمـو مـشي عـلى مثـل «اخطـب لبنتـك ومـا تخطبش لابنـك» بـس هـي إيـه الصلـة اللـي بـين خطيبـك وبابـا اللـي تخليـه يثـق فيـه كـده؟!

- والله يـا أختـي مـش عارفـة، لكـن بابـا بيقـول إنـه شـاب محـترم وعَـلى خلـق، وإنـه اتعـرف عليـه في المسـجد وكان بييجي لـه البيـت كتـير.. وبصراحـة هـو محـترم فعـلًا ومـش عمـل أي حاجـة وحشـة لحـد دلوقـت، وبعديـن الشـيخ مصطفـى ده مُخضرم مـش بيطَّمِّـن لأي حـد كـده وخـلاص، ولا بيآمـن لحـد غـير لـمَّا يتأكـد إنه صـادق.

- أقـول لـك سر كـمان عـن الحـاج؟! بـس مـا تعرفيـش خالـد عشـان هيزعـل!



- خير؟.. قولي

-بابا خلّاني عملت له حساب على «الفيس بوك» أول ما خالد دخل الجامعة بِاسم «الناصح الأمين» وخالد كان فاكره حد غريب، وقعد يحكيله على اللي بيحصل معاه في الجامعة، وأسرار وكده.

- يا الله!.. وخالد عرف وللا لأ؟

- بابا عرَّفُه بعدين بقى لـمَّا خطبك...

- المهم سيبك من الأفكار دي ويلا نتفرج عليهم وهُمَّا بيكتبوا الكتاب، وإن شاء الله يكون زوج صالح وعند حسن ظن عمو مصطفى.

***

ارتجفت عُلا واقشعرَّ جسدها حينما لامست سماعةُ الطبيب الباردة جلدها، حدَّقت عيناها في وجه الطبيب المشغول عنها فيما تُرشده إليه سماعته، وتتسارع دقات قلبها، وتُهمهم بالدعاء راجيةً من الله أن يسترها، تخشى أن يكون قد حدث ما تخافه وينكشف أمرها، بل ستكون كارثة وصدمة لوالدتها.. اتَّسعت ابتسامة الطبيب وتلألأت عيناه؛ فانشرح صدر عفاف لتعبيرات وجهِه، وسألته متلهفةً:



- خير يا دكتور.. طمّني عندها إيه؟!

- ماتقلقيش يا فندم خير إن شاء الله، ما فيش أي حاجة ده طبيعي جدًّا في الأول، وواضح إنها أول مرة.. لم تفهم ما يقصد، وطرق الشك باب قلبها، وتنقلَّت نظراتها بين الطبيب، وابنتها شاحبة الوجه.

- مش فاهمة قصدك يا دكتور! هو إيه اللي أول مرة؟!

- المدام حامل في الشهر التاني، وطبيعي تدوخ وما يبقاش عندها قابلية للأكل!

تسمَّرت مكانها وهي تحاول أن تستوعب ما تسمعه أُذناها، ووجهت نظرتها الغاضبة نحو عُلا.

- ألف مبروك يا فندم! انتشل قوله تركيزها؛ ووجدت نفسها تحوّل وِجهتها إليه، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة، وابتعلت ريقها، وأردفت دون إرادة:

- الله يبارك فيك يا دكتور.. فرّحتني! واصطحبت ابنتها وخرجت دون أن تلفظ حرفًا.

لم تنطق عفاف بحرفٍ طوال الطريق، وتسيطر عليها حالة من الذهول واللا تصديق، لا تُصدِّق ما سمعت، لا تعرف ماذا ستفعل، ابنتها الوحيدة غرست رأس أسرتها في الطين، وكسرت أعينهم أمام مَن يتظاهرون أمامهم بعُلوٍّ



المكانـة الاجتماعيـة، وعُـلا بجانبهـا في السـيارة يرتجـف قلبهـا، ويرسـم عقلُهـا أمامهـا مـا تتوقـع أن يحـدث بعـد علمهـم.

فتحــت البــاب بعنــف، وقــد اشــتعلت أعصابهــا لَهَبًــا، وجذبتهـا إلى الداخـل وانهالـت عليهـا بالـضرب، لا تعلـم أيـن وكيـف تقـع يدهـا؛ فالغضـب تمالـك منهـا وشَـوَّش بصرهـا، والمسـكينة لا تحـرك سـاكنًا، تبكـي وتتحـسر وفقـط.. توقفـت عفـاف عـن الـضرب، وجلسـت عـلى كـرسيٍّ ودمـوع الخـذلان تسـيل عـلى وجههـا، وصـارت ترثـي الحـال التـي وقعـوا فيهـا:

- لــيه؟! عملنــا لِــك إيــه عشــان تُحطِّــي راســنا في الطــين كــده؟.. أحســن أكل وأحســن لِبــس، ومــا فيــش طلــب بيترفــض، ليــه تعمــلي فينــا كــده؟ منــك لله.

لم تنطــق عُــلا وظلّــت تبكــي وهــي متقوقعــة في نفســها، وتضـع رأسـها عـلى ذراعيهـا الموضوعـين عـلى ركبتيهـا.

نظـرت عفـاف لتلـك الحـال التـي وصلـت إليهـا ابنتهـا، وتتصـارع الأفـكار في عقلهـا، أقـصَّرتْ حقًّـا في تربيـة ابنتهـا ولم تكـن عـلى قـدر المسـؤولية؟ ولكـن كيـف وهـي مثـال لـلأم «الديمقراطيـة» التـي لا تُضَيِّـق عـلى أبنائهـا، وتركـت لهـم الحرية في الاختيـارات؟! ولكــن يبــدو أن المبالغــة في إطــلاق الحريــة أتــت بنتائــج سـلبية ويجـب عليهـا المحاولـة - وإن كانـت بعـد فـوات الأوان- لترميـم مـا تَحَطَّـم.



نهضت من مكانها وجلست بجوار ابنتها، وضمتها بين ذراعيها، المرة الأولى التي تشعر فيها بحضن الأم هذا! زادت سيول الدموع المتدفقة من عينيها، دموع كدموع فرحة المتلهّف لرؤية حبيب طال انتظاره.. طالما افتقدت هذا الاحتواء، بل لم تَذُقْ طعمَه من قبل، وكأنها وجدت أمرًا بحثت عنه كثيرًا ولكن لم تكن تعرف ماهيته.

جفّفَت دموع ابنتها، ومسحت على شعرها وكأنها طفلة صغيرة، وحدثتها بنبرة يملؤها الحنان محاولَةً تَفَهُّم الأمر من أجل الوصول إلى حل.

- فهميني يا بنتي إيه اللي حصل بالظبط، ومين اللي عمل فيكِ كده، وإيه اللي سَكّتك لحد دلوقتي؟

- مش عارفة أقول لك إيه! بس لو كنت أنا غلطت؛ فأنتم السبب في ده، وبالذات أنتِ!

- أنا؟!.. ليه بس يا بنتي ده أنا عمري ما رفضت لِك طلب، ومش مخلياكِ محتاجة أي حاجة!

- هي دي المشكلة! كل حاجة عاوزاها بتجيلي، وما فيش حاجة يتقال عليها لأ، فاتعودت على إن كل المطلوب متحقق وموجود، ولـمّا قُلتوا لأ كانت اتأخرت أوي؛ فكان لازم أعاند وأعمل أي حاجة عشان يتعمل لي اللي عاوزاه.. الشاب اللي حسّسني بوجودي وأنوثتي وقلبي اتعلق بيه،



ورسمنا مستقبلنا مع بعض، لـمَّا حاول يتقدم زي أي حد مُتمسك باللي بيحبها؛ قُلتِ له لسّه بنتنا صغيرة ومافيش جواز قبل الليسانس؛ فعشان بيحبني ومش عاوز يتخلى عني، قال لي نتجوز عرفي لحد ما نخلص دراسة!

- عُرفي؟!

- أيوا عُرفي.. عُرفي عشان عمري ما حسيت بوجود الأم، والأب مش بَشُوفه غير مرتين تلاتة في السنة، وكل همكم إزاي توفروا الفلوس.

- يعني إحنا غلطانين إننا عاوزين نأمِّن مستقبلكم، ومانخليكومش محتاجين حاجة، وماشيين رافعين راسكم قدام الناس في زمن الفلوس فيه هي كل شيء؟

- راسنا مرفوعة؟! ما خلاص راسنا بقت في الطين، والفلوس عمرها ما هترجع ولا هتصلح اللي اتكسر! غلطانين لما ما سَدِّيتُوش احتاجي للعطف؛ فأول كلمة حلوة علقتني ووصلتني لمرحلة إني أفقد نفسي.

- طب فين ورقة الجواز العرفي؟.. ده أنا همرمطه في المحاكم وأخليه ييجي مذلول يطلب السماح.

- قصدك الورقتين، اللي خلاهم معايا؛ عشان يثبت لي إنه صادق، لكن بعد اللي حصل خلاص حتى تليفونه غيّره!



- أيـوا يعنـي فـين الورقتـين دول؟!.. أشـاحت بوجههـا بعيـدًا، وارتجـف جسـدها دون إجابـة عـن سـؤال أمهـا، حتـى أعـادت سـؤالها بنـبرة أعـلى مـن سـابقتها؛ فقالـت بـكل حـسرة ونـدم، وقـد تسـارعت عبراتهـا وسـالت مـن جديـد:

- للأسف ضاعوا!

- ضاعوا؟!.. ضاعوا إزاي؟!

- اتغسـلوا في الهـدوم!.. وضعـت عفـاف يديهـا عـلى رأسـها وصـارت تتحـسر، وتنـدم عـلى ابنتهـا التـي ضاعـت بسـبب سـوء الرعايـة والتوجيـه.

***

استيقظت في الثامنـة صباحًـا وتملؤهـا الحيوية والنشـاط، كاد الشـهر السـابع مـن حملهـا أن يكتمـل، نزلـت ببـطءٍ مـن عـلى السريـر وهـي تحمـل بطنهـا المنتفـخ أمامهـا، دخلـت مطبخهـا وأسرعـت في تجهيـز الفطـور لزوجهـا قبـل أن يذهـب إلى الجامعـة (فقـد عُـيِّنَ «خالـد» مُعيـدًا بكليـة الآداب فـور انتهـاء دراسـته، وقـد قُبِـل تظلمـه في مـادتي الفرقـة الأولى ونجـح فيهـا!) وحملتـه إلى غرفتهـا، وربتـت عـلى وجهـه بلطـف لتوقظـه.

فتـح عينيـه فوجدهـا أمامـه وبيدهـا إنـاء مـن الألومنيـوم تضـع عليـه الفطـور؛ ابتسـم وهـو ينظـر إلى وجههـا البشـوش



المبتسم، الذي سبقه بنظرة طيبة تحمل الحب والأمل، وصوتها الحنون يُحيِّه:

- صباح الخير يا سيادة المؤرخ الأديب.

- صباحك سكر يا «روكا».. يا ربي! أفتح عيني كل يوم وأنا مبسوط كده؟ ربنا ما يحرمني من ابتسامتك المُبهِجة دي.

- ولا منك يا حبيبي.. يللا قوم بسرعة بقى بلاش كسل؛ علشان ما تتأخرش.. ما يرضنيش إن زوجي يتأخر عن أول محاضرة كده.

- حاضر يا نور عيني.. بس أنتِ ما تحرمنيش من ابتسامتك اللي بتفاءل بيها دي.

- عيني.

- تسلم لي عُيينتاكِ.. اتسَعت ابتسامتها متعجبةً:

- عُيينتاكِ؟! ما شاء الله بنتعلم بسرعة أهو.

- كفاية إن في قلبي أنثى درعمية، ده يكفي إني أكون الخليل بن أحمد في اللغة العربية.

- ماشي يا عم سيبويه.

استندت عليه مُشتبكةً في ذراعه بيدٍ، واليد الأخرى تمسك بها ظهرها كي تتزن مشيتها حتى وصلا إلى باب



الشـقة، ودّعتْـه داعيـةً لـه بالتوفيـق، ثـم التفتـت ووقعـت عيناهـا علـى الحائـط المقابـل للبـاب، خَطَـت خُطـوات هادئـة بقلـب مُنـشرح إليـه، وفتحـت السـتار الـذي يُخفـي تلـك اللوحـة المعلقـة، وعـادت بهـا ذاكرتهـا إلى يـوم زفافهـا...

***

حملهـا علـى ذراعيـه إلى بـاب مملكتهـا الصغـيرة، ثـم أنزلهـا مـن علـى ذراعيـه وطلـب منهـا أن تغمـض عينيهـا، وأخـرج مِفتـاح الشِـقة مـن جيبـه، وفتـح البـاب برفـق ووضـع كفـه على عينيهـا حتـى يتأكـد أنهـا لا تـرى، وتسـلل أمامهـا إلى الداخـل، وأنـار الأضـواء، وهـو يسـحب يـده مـن فـوق عينيهـا:

- ٣ - ٢ - ١.. افتحي عينك.

- رُوكا؟!.. فتحـت عينيهـا فوجـدت أمامهـا لوحـة كبـيرة علـى الحائـط مكتـوب عليهـا باللغتـين العربيـة والإنجليزيـة:

«أميرتي رُوكا .. مرحبًا بكِ في مملكتك الصغيرة»

«ROKA my queen .. Welcome to your small kingdom»

أدخلـت تلـك المفاجـأة السـرور علـى قلبهـا، وصـارت تضحـك فرحًـا كطفـلٍ كافـأه والـده لتفوقـه، جففـت عـبرات الفـرح التـي تسـللت علـى وجنتيهـا، ويدهـا تغطـي ثغرهـا المتبسـم، وهـي تتناقـل النظـر بلهفـة بـين اللوحـة وعريسـها



الـذي احمـرَّ وجهـه مـن شـدة سـعادته؛ فقـد حانـت أخـيرًا اللحظـة التـي انتظرهـا كثـيرًا؛ تـزوج فتـاة الأحـلام التـي ستُعَطِّر بيتـه بأريـج الذكـر، وتُنـيره بطاعـة الله ومرعـاة أوامـره، الزوجـة التـي تعـرف واجباتهـا وحقوقهـا.

تطايـرت الحـروف مـن عـلى ألسـنتهم، والقلـوب ترفـرف مـن الـسرور، لا تعـرف كيـف تعـبر عـن ذلـك، وأي كلام يصفـه؟! أطالـت نظرتهـا نحـو اللوحـة ذات الأضـواء الملونـة، والقلـوب التـي تتبـادل الألـوان حـول اسـم روكا، وسـألته متعجبـةً:

- رُوكا؟! جميل أوي روكا ده!

- ده بـس عشـان اسـمك.. نظـرت إلى الأرض حيـاءً، وقالـت بصـوتٍ خجـول، وهـو يرفـع وجههـا نحـوه:

- عـارف!.. أنـا بحـب اسـم «رُقَيَّـة» جـدًّا، بَحِـس بفخـر اللغـة العربيـة كـده وأنـا بَسْـمَعه، وأي حـد بيقـول رقيـة بالهمـزة، بقـول لـه لأ، قُـلْ رُقَيَّـة بالقـاف، بـس «روكا» ده عجبنـي جـدًّا.

- وكلامك ده أسعدني جدًّا. عارفة يا روكا... (قاطعته)

- عارف أنت ليه عجبني؟!

- ليه؟!



- علشان من خُوَيْلِد!

- خُوَيْلِد؟!.. يعني إيه؟!.. تقهقت وأردفت:

- في حاجة في اللغة العربية اسمها التصغير، وخُويلد ده تصغير خالد، والتصغير ده للتقريب من القلب مش حاجة تاني.

- خُوَيْلِد.. خُوَيْلِد.. خُوَيْلِد.. يا الله، حلو أوي الاسم ده، بس إيه الرومانسية اللي نزلت فجأة على الدراعمة دي؟!.. ده أنا كنت حاسس إني خاطب واحد صاحبي، وكان كلامك بحساب.

- ما خلاص بقى بقيت حلالك، وربنا محللي أدلَّعك، قبل كده كنت لسّه أجنبي، ولا إيه رأيك؟!

تسمَّر في مكانه فجأةً، وهو ينظر إليها، ثم جذبها من يدها متجهًا إلى غرفة النوم: تعالي هوَرِّكِ حاجة...

***



جيـلُ رُعــاةٍ لا يعلمــون عــن التربيــة إلَّا قليــلًا، يظنــون أنّهــم يُنجبــون الأبنــاء ليخدموهــم ويُطيعوهــم دون إبــداءٍ لآرائهــم أو إثبــاتٍ لذواتهــم وشــخصياتهم، وأنّ دورهــم منحــصرٌ في توفـير مطالبهـم فقـط دون تكويـن لِكِياناتهـم الخاصـة؛ فيبحث هـؤلاء المسـاكينُ عـن مَـن يهتـم بكلمـة أو سـلوك، ويسـقطون في الهاويــة دون درايــة!

محمد الباسم



الفصل التاسع

يتجـدد حبسـه عـلى ذمـة القضيـة في كل جلسـة محاكمـة، وهـو ينتظـر الحكـم؛ حتـى يهـدأ ويعـرف مصـيره الـذي طـال انتظـاره.. يسـتلقي عـلاء عـلى الأرض ويضـع سـاقه اليسـرى فـوق اليمنـى، وينظـر إلى سـقف الغرفـة، يسـتعيد ذكرياتـه الأليمـة...

لم تنجـح محـاولات «عـماد» في اسـترداد حـق ابنتـه رغـم تشـابك عَلاقاتـه، بعدمـا تـرك العمـل بالخـارج وعـاد ليُصلـح مـا فسـد، ومـع مـرور الشـهور يـزداد الأمـر تعقيـدًا، ولم يجـدوا اسـم «أمـين» مسـجلًا في كشـوف الكليـة، واكتشـفوا أنـه كان اسـمًا مزيفًـا، وكانـت الشِـقّة التـي يسـكن فيهـا مسـتأجرة ليسـت ملكـه كـما أوهمهـا، ولم يسـتطيعوا الوصـول إليـه بـأي وسـيلة كانـت كأنّ الأرض ابتلعتـه عقـب فعلتـه.



وتمسّكت عُلا بحملها ولم تستجِب لطلبهم بالإجهاض على أمل أن تجد من وثقت به حتى ولو انتظرته ألف عام، وإن ظلَّ ابنها بلا أب، وكانت ترتدي ملابسَ فضفاضةً؛ كي تُخفيَ بطنها الذي يزداد حجمه مع مرور الوقت.

تعجب علاء من إجازة والده التي طالت كثيرًا عن كل مرة، وازداد عجبه حينما علم أنها إجازة بلا عودة، كان سعيدًا لأن والده الذي سافر وهو طفل صغير عاد ليعيش معهم، لكنه لم يشعر بأن هناك تغيير في مشاعره تجاهه؛ فما هو إلا مصدر للأموال وسد الاحتياجات، وكان كثرة خروج والديه مع «عُلا» يُثير انتباهه، أيّ مرض هذا الذي يجعل أباه يترك عمله بالخارج، ويأتي ليكون بجوار ابنته؟! لم يهدأ حتى علم ما يُخفونه عليه دونَ أن يُظهر لهم ذلك.

لاحظت علا نظرات أخيها التي تُعبّر عن رغبته في قول شيء ما، أثارت نظراته الرعب داخلها، تخشى أن يكون قد عرف ما حدث، بل تعلم جيدًا أنه إذا أراد الوصول إلى أمر ما لا يهدأ حتى يصل؛ وضعت الملعقة بجانب الصحن الذي كانت تتناول منه الطعام، ومسحت فمها واستأذنتهم في الدخول إلى غرفتها كي تنام، وعلامات التوتر تظهر على وجهها.

وقبل أن تدخل غرفتها مرَّت على دورة المياه وتوضأت، ثم دخلت إلى الغرفة وظلت تقرأ في تطبيق المصحف بعدما



صلَّت ركعتين كما اعتادت أن تفعل منذ أيام، فهي تشعر بارتياح نفسي شديد في ذلك، وكانت تبكي في الصلاة ندمًا على ما فعلت، وتدعو الله أن يُعيدَ لها «أمين» كما تأمل أنه لا زال يحبها ولكن ربما يمنعه أمر خارج عن إرادته، ثم غلب عليها النوم وسقط هاتفها الذي كانت تقرأ منه بجانبها.

تيقَّن علاء أن الجميع ناموا، وتسلل إلى غرفة أخته وهو يتلفّت حوله، وقف لبرهة أمام الباب ووضع أذنه ليتَنَصَّت إن كان هناك صوت، وفتح الباب بهدوء ودخل يتسلل حتى وصل إلى سريرها.. وقف ينظر إلى وجهها الذي يبدو كالطفل وبطنها الذي انتفخ قليلًا، وتذكر حديثها مع «مارفيلا» منذ أيام وهي تقص عليها ما حدث، بعدما استطاع اختراق هاتفها وتسجيل المكالمات فهو محترف في ذلك.

نظر إليها نظرةً أخيرة وقد اشتعلت نار الغضب بداخله، تخيل حاله بعدما تلد مولودها وينكشف الأمر، كيف له أن يتحمل نظرات الناس إليه وألسنتهم تردد ما حدث، التخيل وحده فقط يمزق قلبه...

ترى أنها تسير في مكانٍ مظلم لا تعلم أين هي وما أتى بها إلى هنا، السواد يغطي المكان، تتلفت كالمختال هنا وهناك بحثًا عن مخرج، لمحت بصيصَ ضوء بعيدًا، هرولت إلى هنالك لتخرج؛ خرجت فوجدت نفسها بين



فريقين: فريق يرتدي ملابس بيضاء ويشع نورًا، والآخر لا تكاد ترى ملامحه أو تفاصيل جسده من شدة سواده، كلٌّ من هؤلاء وأولئك يجذبها إليه، وتُصارع محاولةً الهرب لكن لا مفرَّ منهما، ظلت على هذه الحال إلى أن سقطت أرضًا.

سحب الوسادة التي كانت بجوارها ووضعها على وجهها ليكتمَ أنفاسها، بعدما تمكن من تكبيل يديها في اللحظة نفسها حتى لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، وهي تتلوى تحت يده كالذبيحة حتى استهلكت نفسها الأخير، وأضحت جسدًا بلا روح.

ارتجف جسمه وسقط مكانه، أُصيب بحالة من الذهول، أخته جثّة هامدة ماثلة أمامه قد قتلها بيده، أين كان عقله منذ ثوانٍ؟! أذهب مع ذرات دخان سيجارته التي صارت رمادًا قبل أن يدخل؟! احتضنها ودموعه تحجرت في عينيه، حتى الدموع أبت إلا أن تمتنع عن غسل جريمته.. ظلَّ على هذه الحال إلى أن سرقه النوم.

أشرقت الشمس ولا يزال علاء على هيئته التي بات عليها في غرفة أخته، وعلى غير العادة استيقظت عفاف في الصباح الباكر من كابوسٍ مرعب: كان هناك وحش مماثل لبطل الفيلم الذي شاهدته قبل نومها يلاحقها، وابنها يكبل يدها ويقدمها وجبة شهية لذلك الوحش.



لم تجـد قـارورة الميـاه بجوارهـا؛ فقامـت مـن عـلى سريرهـا متجهــةً إلى المطبــخ لتــشرب، وفي طريقهــا مــرت عــلى غرفــة عُــلا، كان البـاب مفتوحًـا خـلاف المعتـاد، ابنتهـا تغلـق البـاب بإحـكام خاصـة بعـد تلـك الحادثـة تحيـط بهـا هالـة مـن الرعب والقلـق، ربـما اسـتيقظت وذهبـت إلى دورة الميـاه!

لم تُعـطِ اهتمامًـا وأكملـت طريقهـا إلى المطبـخ، انتبهـت إلى أنَّ أضـواءَ دورة الميـاه مُطفـأة! انتهـت مـن المهمـة التـي ذهبـت مـن أجلهــا، وعــادت لتطمئــن عــلى ابنتهــا، فتحــت البــاب بهــدوء حتــى لا تزعجهــا؛ اتســعت عيناهــا وربتــت عــلى صدرهــا ودقـات قلبهـا تسـارعت بمجـرد رؤيتهـا لهيئـة ابنهـا! أجُـنَّ الولـد وراوده الشـيطان إلى أختـه؟! اقتربـت منهـما وصاحـت: عــلاااء! عملــت إيــه؟!

فُـزع مـن نومـه وحـدّق في وجـه والدتـه، وشرد تفكـيره كأنه سـكران، وحُجّـر لسـانه داخل فمـه المفتـوح ووجهه الشـاحب، لم يسـتطع أن يلفـظ بحـرف، وأشـار بيديـه دلالـة عـلى الـلا فَهْـم وعينـاه تسـيلان بالدمـوع، وبـلا تفكـير هـرول وهـرب مـن البيـت.

اقتربـت مـن ابنتهـا وحاولـت إيقاظهـا، تُربـت عـلى وجههـا وجســدها لكــن لا اســتجابة منهــا! جســدها تخشّــب وتغـيّر لــون جلدهــا إلى لــون زهــرة البنفســج ولا تتحــرك، وضعــت أذنهـا عـلى صدرهـا لتُنْصِـت إلى دقـات قلبهـا؛ لا صـوت ولا



نبـض ولا أنفـاس ولا حركـة! ازدادت سرعـة دقـات فؤادهـا، وصـارت تـضرب عـلى وجههـا لطـمًا وتـصرخ وتصيـح باسـم ابنتهـا.

خـرج وصـار يجـري بـلا وِجهـة محـددة، الذهـول يغمـر عقلـه وتتسـارع نبضـات قلبـه أسرع مـن خُطُـوات قدميـه المتسـابقتين، كادت أنفاسـه أن تتوقـف، وطاقتـه أوشـكت عـلى النفـاد، ومسـام جلـده أخرجـت مـا بهـا مـن قطـرات عـرق في ذاك الجسـد الملتهـب.

جلـس بجـوار أول حائـط قابلـه في تلـك الشـوارع الخاويـة مـن المـارة بُعيـدَ شروق الشـمس؛ اسـتعاد وعيـه وهـدأت أنفاسـه وذهـب ذهولـه، وجفّـت قطـرات العـرق، لكـنّ عبرات العـين حلَّـت محلهـا وأضحـت أنهـارًا متدفقـة، لا يُصـدِّق أنـه قتلهـا، أيـن كان عقلـه ورُشـده وهـو يسـجن أنفاسـها تحـت تلـك الوسـادة؟ بـل أيـن ذهـب قلـب الأخ الحامـي والسـاند لأختـه؟!

لابـد مـن تكفـير ذاك الذنـب، وتطهـير تلـك الخطيئـة، لكـن أي وسـيلة تُطفـئ نـار النـدم، وأي طريـق تُعيـد أختـه للحيـاة؟ أماتـت حقًّـا أم أنـه يحلـم؟!

نهـض مـن مكانـه وسـار في الشـارع الـذي سـحبته قدمـاه إليـه، وقـد توقـف التفكـير، يسـير بـلا فَهـم إلى أن رأى أمامـه



قسم الشرطة! وجد السبيل إذن، العقاب قد يخفف شعوره بالذنب.

منعه حراس القسم من الدخول في هذه الساعة المبكرة، ولـمّا يبدأ وقت العمل الرسمي بعد، وعيون «العساكر» ترمقه وتراقب حركاته، ويظنون أنه مجنون فَقَد عقله، لكنَّ إصراره على الدخول لا تستطيع قوة أن تمنعه ولابد منه مهما يكن.

تراجع خطوتين إلى الخلف متظاهرًا بفقدان الأمل، إلى أن اطمأن الواقفون أنه سيذهب، وفي لمح البصر هرول إلى الأمام مجددًا، وركل ذاك الذي دفعه للخلف ركلةً أسقطت سلاحه المحمول على كتفه؛ فتجمع الحراس المحيطون بالمكان وانهالوا عليه بالضرب حتى سقط، وأدخلوه الحجز...

أنزل ساقه من فوق الأخرى، واستقام في رقوده محاولًا الهربَ من تلك الذكريات بالنوم، أغمض عينيه وسرح عقله في الأحلام؛ لم يلبث دقائق حتى نكزه أحد المحجوزين في الغرفة نفسها ليخبره أن «الشُرطي» يُنادي اسمه، فقد حان موعد جلسة النطق بالحكم.





دخل خالد بزوجته إلى غرفة النوم، وأجلسها على السرير، ثم تقدم نحو مكتب صغير بجواره وأخرج منه مفكرته التي يُدوّن فيها خواطره الخاصة، عاد وقَعَدَ بجوارها وفتح المفكرة على إحدى الصُفيحات، وناولها إياها لتقرأها...

«فتاتي الجميلة لا أعلم متى ألقاكِ، بل لا أعلم ما هي ملامح وجهكِ ولا أي تفصيلة عنكِ، ولكني أراكِ تلك الفتاة ذات الدين والعفاف، الـمُتَوَّجة بالأخلاق الحسنة الحميدة، والـمُحَصَّنة بالطُهر والحياء، أتخيل رُوحَكِ التي تلاحقني في كل مكان، رُوح الزوجة والصديقة والحبيبة.

قد بحثتُ عنكِ كثيرًا في وجه كل فتاة عرفتها، لكني سُرعان ما انتبهتُ إلى أن الجواهر لا تظهر بتلك السهولة، فلـمَّا اعتزلتُ كل الإناث تَعَفُفًا؛ رأيتُكِ هناك بل قُدِّر لي أن آتي إليكِ وتختلط كرات دمي بدمكِ...»

اقشعرَّ جسدها حياءً، ونظرت إليه دون أن تنطق، ثم أعادت النظر إلى المفكرة، فوجدت أن تاريخها قديـمًا بعض الشيء، تاريخ ذلك اليوم الذي تبرع لها فيه بالدم تقريبًا!

- دي أنا المقصودة؟!

- أيوا أنتِ.. التفتت إلى الجانب الآخر وصمتت لثوانٍ، وهي تتذكر ذاك اليوم، ثم أدارت وجهها نحوه من جديد قائلةً:



- أقول لك سر؟!

- قولي.

- في اليوم ده ومن بعد ما أنتَ مشيت حسيت إن في ميل قلبي تجاهك! لكن طبعًا منعت نفسي عن التفكير في الأمر ده؛ علشان حسيت إنه حرام، وإن ده مش وقته وفي حاجة أهم من الأمور دي لحد ما ربنا يأذن.

- واضح إن دمي مفعوله سريع.. ابتسمت وأردفت:

- وكان ظهورك في فرح «محمود» وكلام ماما - رحمها الله- عن والدِتَك، ويوم ما جيت تاخد مامتك يوم ما زارتنا أسباب لاسترجاع الميل ده، بس وقتها خلاص ما كانش ينفع إنه يكون في ميل أصلًا!.. تعجب من جملتها الأخيرة، وسألها مستفهمًا:

- ليه ما كانش ينفع؟!.. تذكّرت حكاية «هايدي» عنه، وخوفها السابق على مشاعر صديقتها؛ فتظاهرت أمامه بالحياء من الموقف: ما كانش ينفع وخلاص، وبعدين أهو ربنا كتب لنا إننا نبقى لبعض، وأدينا أهو متجوزين...

رنّ هاتفها وقطع شريط الذكريات في خيالها، قامت من جلستها ببطء وهي تسنِد بطنها، ودخلت إلى الغرفة لتُحضره؛ ابتسم ثغرها وفرح قلبها عندما رأت اسم «هايدي» على الهاتف: «دايمًا تيجي على السيرة يا هدهد»



جلست على كرسيٍّ بجانب السرير، وأعادت الاتصال بها بعدما انتهى قُبَيل دخولها غرفة النوم، تبادلتا السؤال والاطمئنان وظلتا تحكيان إلى أن تحولت كلمات رقية إلى آهات وآلام؛ تشعر وكأن ظهرها وبطنها سيُفصلان عن جسدها من شدة الألم المفاجئ!

- ما لِك رقية؟!

- آاااااه.. الحقني يا هايدي.

- ما لِك بس في إيه؟

- شكلي.. شكلي هولد.

- طب أنا هجيلك حالًا ما تتحركيش.

وصلت هايدي مع رقية إلى المشفى، لكن الألم يهدأ من حين إلى آخر ثم يعود من جديد، انتظرتا قليلًا في بهو المشفى حتى سمحت لهم إحدى الممرضات بدخول غرفة لتستريح قبل دخول غرفة العمليات.

ساعدت هايدي صديقتها لتستلقي على السرير، وهي تتألم لآلامها، وتنظر إليها بقلب عطوف حزين، ولم تلبث أن جلست على الكرسي بجانب السرير ورفعت نقابها حتى دق الباب، كان خالد قد وصل؛ أسرعت وأسدلت نقابها على وجهها من جديد بمجرد سماع صوته، واستأذنت



منهما لتخرج وتتركهما وحدهما فور دخوله وإلقاء التحية.

خرجت وتركتهما، وسرحت وهي تجلس على أحد المقاعد بجوار الغرفة، قد تغيرت حالها وباتت تُرثي نصيبها، زوجها طلقها رغمًا عنه بعد رفضها زواجه ممن رشحت له والدته، فهو الابن الأكبر وتودُّ أمه أن ترى أحفادها، أضحت وحيدة بعد وفاة جدتها ولا يخفف عنها ذلك سوى تخصيص وقتها للعبادة ودراسة العلوم الشرعية ووجود رقية في حياتها، تُرى ستظل رقية هكذا أم سيشغلها مولودها عنها، تشعر وكأنها أمها حقًّا، وتخاف أن تقل مكانتها في قلب صديقتها بعد ولادتها.. على أية حال فهي ترضى بما قُدِّر لها، لعلَّ الله يرزقها بخير لصبرها.

- اتفضلي ادخلي لها هي عاوزاكِ.

أخرجها صوت «خالد» من تفكيرها، لكنه لم يكن سعيدًا بعد لقاء رقية، وذهب ليدفع مصروفات الولادة.. قد هدأت رقية قليلًا حين دخلت هايدي، لكن آثار الدموع على وجهها تُخبر عن أمر ما.

- ما لِك يا رقية؟ استحملي يا حبيبتي.

- بصي يا هُدى.

- هُدى كمان؟!.. ده كده في حاجة تاني غير وجع الولادة، ما لِك بس؟ قلقتيني!



- بصي يا حبيبتي أنتِ عارفة إنك أكتر من أختي؛ علشان كده أنا حاسّة بيكِ جدًّا، وعارفة شعورك دلوقتي، لكن مهما كان ده تقدير ربنا وإن شاء الله ربنا يعوضك عن صبرك ده خيرًا، وهتعرفي ده قريب جدًّا وهتقولي رقية قالت.. بلَّلَت دمعتها نقابها، وأردفت بصوتٍ تُظهر نبراتُه تماسكًا مصطنعًا:

- الحمد لله على كل شيء يا حبيبتي، وكفاية إن ربنا رزقني بأخت زيك، بس اوعي الواد ابنك اللي جاي ده يشغلك عني أنتِ فاهمة؟

- لا ما تخافيش يا قلبي هيبقى عنده أُمّين.. ماما هايدي وماما رقية، أدخل ذلك السرور على قلب هايدي، وربتت على كتف رقية، وهي تنصت إليها...

اتسعت عينا رقية قبل أن تنهي كلامها من شدة الألم الذي زاد هذه المرة عن المرات السابقة، يبدو أن وقت خروج مولودها لنور الحياة قد آن.

أسرعت هايدي لتُخبر الطبيبة، وحمل المساعدات رقية على سرير متحرك إلى غرفة العمليات، وهي تضغط بأسنانها على قطعة قماش، وتمسك بيد أختها التي كاد يقف قلبها من القلق، وأدخلوها لإجراء العملية، بينما خالد يذهب ويعود مُتحجِّجًا بقضاء إجراءات المشفى



ومتطلبـات الأطبـاء؛ حتـى لا ينتظـر ويجتمـع بهـدى في مـكان واحــد، وهــي كذلــك لا تطيـل الحديــث، وتجـاوب إجابـات محـدودة عنـد سـؤاله عـن حـال رقيـة.

***

بعـد بضعـة شـهور مـن تجديـدات الجبـس، وبعـد إثبـات تقريـر الطـب الشرعـي وموافقتـه مـع اعترافـات عـلاء في قتـل أختـه؛ حُـدد موعـد للمحاكمـة، وقـد أضحـت عفـاف كأرض بـور مـن شـدة الحـزن والنـدم.

تجلـس بقاعـة المحاكمـة بجـوار زوجهـا الحزيـن الصامـت الـذي لا يسـتطيع أن يُظهـر تماسـكه، ولا يتمكـن مـن مواسـاة زوجتــه، فكلاهمــا مشــتركان في الأزمــة؛ كلٌّ منهــا ظــنّ أنّ الرعايـة - دون تربيـة مشـتركة مؤسسـة عـلى قواعـد- كافيـةٌ لإخـراج أبنـاء أسـوياء!

تنتظـر نطـق الحكـم عـلى ابنهـا ويمتـزج شـعورها كونهـا أم بشـعور الخِصـم في الوقـت نفسـه، المجنـي عليـه جـزء منهـا، والجـاني أيضًـا حُمـل شـهورًا في الرحـم نفسـه، ومـا بيدهـا سـوى الاستسـلام لمـا آلـت إليـه الأمـور دون تَدَخُّـل.

ويقـف عـلاء داخـل القفـص ينتظـر عِقابًـا يُكفِّـر ذنبـه المـؤلم الـذي لا يفـارق ذهنه، عينـاه تنظـران إلى القضاة كأنهما تتوسـلان إليهـم كـي يُنجـزوا في إصـدار الحكـم، وقلبـه لا يبـالي، لا يهمـه



سوى التخلص من ذاك الضمير الذي استيقظ متأخرًا، انتبه فجأةً إلى يدِ رجل استغلت انشغال الجميع وانتباههم إلى ما يقوله القضاة تُنكزه؛ أخذ الورقة التي أعطاه إياها ذلك الرجل وأخفاها في ملابسه كما أشار له.

تترمق أعين القضاة الحاضرين، وقلوبهم مشتتة بين لوائح القوانين التي توجههم إلى الحكم، وبين روح الأبوة التي تُحتم عليهم أن يرحموا قلب أُمٍّ أهلكته الأحزان، كان لا بد من النطق بعد ذلك الصراع الشعوري، مالَ أحدُ المستشارين والقاضي إلى الإعدام كي يكون عِبرةً لكل أولئك الذين تسول لهم أنفسهم أن يفكروا في مثل ذلك، خاصة بعد أن تداولت الصحف والقنوات هذه الجريمة طِيلة تلك الفترة، أما المستشار الآخر فاعترض على الحكم بالإعدام؛ فخُفِّف الحكم قليلًا.

عاد انتباه علاء إليهم من جديد على صدمة الحكم!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١٠].. بعد الاطّلاع على أوراق القضية، وتطابق تقرير

١٠ - سورة البقرة: آية١٧٨



الطب الشرعي مع اعترافات المتهم؛ حكمت المحكمة حضوريًّا على المتهم «علاء عماد السيد» بالسجن المؤبّد مع الشغل والنفاذ»

- مؤبد؟!.. كيف سيتحمل عذاب ندمه خمسة وعشرين عامًا؟ يريد أن تنتهي حياته كي ينتهي توبيخ ضميره.. حُشر في سيارة الترحيلات إلى السجن بعدما ودعه أبواه، ولا زال قلبه فاتر المشاعر.

***

دخل الليل ولـمَّا تنتهِ العملية بعد، والقلق يطرق قلب «خالد» أمام غرفة العمليات، وظلَّ يسير ذهابًا وإيابًا بعدما ذهبت هايدي، يهمهم بالدعاء، والكلمات التي قالتها قُبيل دخولها تدق عقله، لا يعلم ما في الوصية التي أمرته بقراءتِها، لماذا قالت هذا اليومَ بالأخص؟! يفكر في ذلك ويزداد خوفًا وقلقًا، جلس على أحد المقاعد في لحظة دخول والديه وأخته خديجة، الذين تأخروا بسبب توديعهم «أحمدَ» المسافر إلى «ماليزيا» ليُدَرِّسَ اللغة العربية هناك.

- ألف مبروك يا فندم.. تتربى في عزك!

قطعت مساعدة الطبيبة حديثهم وهي تحمل المولودة التي تكاد لا ترى من صغر حجمها، ويبدو على ملامحها الحزن، حتى أنها لم تقف وأسرعت بالمولودة إلى «الحضَّانة»..



أسرع خالد ليطمئنَّ على زوجته، لكن لم يُسمح له بالدخول، وأخبروه أنها لـمَّا تفقْ من المخدر بعد، لكنَّ تعبيرات وجوههم ونبراتهم تُخفي أمرًا ما؛ أثار ذلك غضبه وثار في وجه الطبيبة التي أمامه:

- فيه إيه أنا عاوز أشوف مراتي، أنتوا مخبيين علينا إيه بالظبط؟!

- اهدَ يا فندم مافيش حاجة، المدام لسّه ما فاقتش من «البنج»، وما ينفعش حضرتك تدخل دلوقتي!

عاد وجلس من جديد بجوار والده بعدما نجحوا في إخماد ثورة غضبه وأعادوه، لكنهم جميعًا تعجبوا من حركة الممرضات ونظراتهنَّ، وكثرة الدخول والخروج من الغرفة التي لا يوجد فيها شخص غير رقية؛ فاستوقفت مريمُ إحداهنَّ بعيدًا عنهم لتستفهمَ منها:

- يا بنتي الله يكرمكم.. فهميني فيه إيه؟ داخلين طالعين، وشكلكم مخبيين حاجة، قولي في إيه الله يستر عرضك.

- بصي يا حاجَّة، هو بس جرعة «البنج» زيادة شوية، وهتتأخر لـمّا تفوق. - لأ، في حاجة تاني يا بنتي كلامِك ده مش داخل دماغي، ده ابني قال أديلها ييجي تلات ساعات في العمليات، مش معقول كل ده ولسّه ما فاقتش.



– ما أعرفش يا حاجّة بقى أنا ماليش دعوة، عندكم الدكتورة روحوا اسألوها أنا ما أعرفش بقى!.. كانت تتمتم وجسدها يرتجف وهي تتكلم.

***

وصلت سيارة الترحيلات إلى السجن قرب منتصف الليل لبُعد المسافة بين المحكمة والسجن، وكل واحد ممن كانوا داخل السيارة مربوط بآخر من خلال حلقات «الكلابش»، نزلوا واصطفّوا في طابور، دخل علاء من بوابة السجن بخطوات مرتجفة، لم يعتقد أن الأمر سيصل إلى هذه المرحلة، سجن وسنوات ستمر كالقرون، يبدو أنه اتخذ القرار الخطأ عندما سلم نفسه.

حرره الشُرطي من مقابضه، وأدخله الغرفة التي سُيحجز بها بعد الحكم، وأغلق بابها بإحكام ثم انطلق، لم يرد علاء على تساؤلات المساجين عما جرى، وتركهم ودخل دورة المياه التي بداخل الغرفة، ليبدل ملابسه التي ابتلَّت عرقًا داخل سيارة الترحيلات المكتظة بالمجرمين؛ وقع على الأرض مستندًا على الباب من تعب الطريق الشديد، وسحب الورقة من جيبه، كانت رسالة زادت من ألم ضميره...



«قلبي معاك يا ابني والله، أنا مقدر حالتك دلوقتي، ومتخيل شكلك وأنت مكسور ومتحطم، والدنيا كلها بتتفرج عليك، قُلنالك لو كررت عملتك دي تاني هيبقى فيها موتك، ما كملتش أسبوع ونشرت الصور وفبركت فيديوهات كمان، بصراحة لو كُنّا خلصنا عليك وقتها ما كانتش نارنا هتهدى، وكُنّا مش عارفين إزاي ندوقك من نفس الكاس، لحد ما عرفنا إن عندك أخت، وبصراحة «مارفيللا» الصديقة الوفية ساعدتنا بشكل كبير لو فضلنا نخطط له سنين ما كُنَّاش هنقدر ننفذه، وسهلت لأمين الطريق، والسمكة أكلت الطعم بسرعة.

ما كانش نفسنا الأمور توصل للدرجة دي، إحنا ناس طول عمرنا ما أذينا حد، لكن سمعة بناتنا أغلى من كنوز الدنيا.. أخيرًا نارنا بردت، وخدنا تار كل بنت ذليتها وكسرت نفسها؛ اشرب بقى عشان تحس بشعور كل بنت نفسيتها ادَّمَّرِت بسببك، كفاية فضيحتك قدام الناس كلها كده، ورميتك بين أربع حيطان مذلول ٢٥ سنة...».

زادت هذه الكلمات من سوء حالته النفسية، وشعر بألمِ كلّ فتاة كان سببًا في كسرها، ظل يتأفف والدم يغلي داخله، تسارعت أنفاسه وعينه تتلفت في المكان كأنها تبحث عن شيء ما، نهض من مكانه وأمسك بأداة تشبه شفرة حلاقة الشعر يستخدمها المساجينُ للحلاقة؛ لأنَّ السجن يمنع



دخـــول الأدوات الحـــادة، وقبـــض يـــده بقـــوة حتـــى بـــرزت عـروق ذراعـه وقطـع شرايينـه، وسـقط ودمـاؤه تسـيل وروحـه تصعـد مـع قطراتهـا.

***

وصـــل محمـــود أخـــيرًا إلى المشـــفى بعدمـــا ذهـــب خالـــد إلى الحضّانــة لــيرى ابنتــه ويســتفسر عــن المــدة التــي ســتقضيها هنـاك.. خرجـت الطبيبـة مـن غرفـة العمليـات عابسـةَ الوجـه تتأفـف؛ هـرول الجميـع إليهـا وأحاطـوا بهـا متلهفـين مـن أجـل الاطمئنـان عـلى رقيـة، نظـرت إليهـم وهـي تشـعر بخيبـة أمـل

- فين زوج المريضة؟

- حضرتك أنا أخوها تحت أمرك.

- أهلًا وسهلًا.

- للأســف حصــل نزيــف أثنــاء الــولادة، وحاولنــا عــلى قــدر اســتطاعتنا لكــن قضــاء الله كان أقــوى!.. اتســعت أعينهــم جميعًــا فزعًــا، وفي صــوت واحــد:

- يعني إيه؟!

- البقاء لله!

عـاد خالـد بعـد الانتهـاء مما ذهـب إليـه، تكبّلـت خطواتـه وهـو ينظـر إلى أولئـك المذعوريـن بعـين كئيبـة، تتسـارع دقـات



قلبـه وترتجـف أناملـه، وشـفتاه عجزتـا عـن الحديـث، جميعهـم يبكــون ولم يــرَهُ أحــدٌ وهــو عــلى حالــه تلــك ســوى خديجــة؛ هرولــت إليــه وعانقتــه ويرتجـف لســانها «البقــاء لله» لم تحملــه قدمـاه فسـقط عـلى الأرض وازدادت آهاتـه.

– آاااه.. إنــا لله وإنــا إليــه راجعــون، إنــا لله وإنــا إليــه راجعـون، كأنهـا كانـت حاسّـة؛ عشـان كـده كانـت بتوصينـي، لله مـا أخـذ.

ظـلّ يجفـف دموعـه ويسـتودع اللهَ أمانتَـه بالدعـاء، ودخـل الغرفـة ليـودِّعَ مليكـةَ قلبـه ذات الوجـه المبتسـم المنـير، وطالـت نظرتـه إلى وجههـا كأنَّ عينَـه تـودُّ ألا تـرى بعـده أبـدًا، يشـعر أنّ روحـه أضحـت خاويـة بعـد فراقهـا.

كانـت ليلـة كئيبـة عـلى الجميـع، ذهبـت رقيـة ذات الـروح الطيبـة التـي تـسري في قلوبهـم جميعًـا، ولكـن هـذه أقـدار ولا يسـتطيعون أن يغيروهـا.. أنهـوا الإجـراءات اللازمـة، ونقلـوا جثتهـا إلى مدافـن عائلـة زوجهـا بالشرقيـة، وكانـت جِنازتهـا ذات جمـوع ضخمـة لا يعلمـون كيـف تجمعـت، وتسير بسرعـة كأنهـا تتلهـف إلى لقـاء ربهـا.

رجـع خالـد بعـد بضعـة أيـام إلى شِـقته، يحمـل صغيرتـه عـلى يـده، وتـدور عينـاه في كل ركـن في المـكان، كل شِـبر يحمـل ذكـرى لهـا، هنـا كانـت تجلـس، وهنـاك كانـت ترتـل آيـات



القـرآن، كانـت تعتـز بهـذه الهديـة، وتضـع ذاك الوشـاح عـلى رأسـها وهـي تصـلي...

نـاول «رقيـة» الصغـيرة إلى أُمِّـه، وتركهـما متجهًـا إلى غرفـة النـوم، وجدهـا مرتبـة كـما كانـت تحـب أن تراهـا، تضـع كتبـه عـلى يمـين مكتبـه، الأهـم منهـم فـوق المهـم، وبجوارهـا الأوراق البيضـاء مرصوصـة وفوقهـا علبـة الأقـلام.. تذكـر وصيتهـا وضرورة قراءتهـا فـور عودتـه كـما قالـت؛ فتـح حقيبتهـا وبحـث حتـى وجـد تلـك الورقـة المعطـرة، فتحهـا وشرع في القـراءة، سـالت عينـاه بالدمـوع لمـا يـرى...

***



الحيـاة مواقـف، ولـكل موقـف بدايـة ونهايـة، فأمَّـا البدايـات فربمـا تُجـبر عليهـا، وأمّـا النهايـات فباختيـارك.

أحمد العرابي



اقتربت من أبيها وعلى وجنتيه الدموع تسيل، ربتت على كتفه وجففت دموعه، وهي تستشعر معنى صدق الحب والوفاء لزوجته؛ احتضنها بين ذراعيه، ولا تزال عبراته تتدفق من عينيه.. دخلت زوجة أبيها وهما على هذه الحال؛ اقشعرَّ جسدُها لِما ترى، واقتربت منهما ويرتجف قلبها:

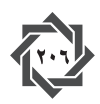
- ما لكم بتعيطوا ليه؟! انتبه لحضورها المُفاجئ ذاك، وابتسم ابتسامة عريضة، وقهقه ضاحكًا وهو يجفف عبراته، وأجابها:

- كُنّا جايبين في سيرتك يا ستي! انتفضت وحدّقت فيهما متعجبةً، وأردفت بصوت مرتجف:

- هو أنا هيحصلي حاجة ومخبيين عليَّ؟!

عَلَتْ ضحكاتهما دونَ إجابة، وقد زاد قلقها وكادت تبكي وهي ترمقه وهو يضحك ويتسلل إلى مكتبه، وفتح أحد أدراجه، وأخرج منه دفترًا وسحب منه ورقةً.. نظر إليهما وقد شحب وجهه من جديد، وناول الورقة لرقية وهو يرتجف:

- افتحي الورقة واقرئي اللي فيها وأنتِ هتفهمي!.. توقفت الألسنة عن الحديث، ونابت عنها الأوجه التي عمَّها الريب، والآذان تنتظر في إصغاءٍ لِما سيُقرأ...



«حبيبي خُوَيْلِد..

قـد جمعنـي اللهُ بـكَ بعـد صـبرٍ ومخالفـة للهـوى، وهـا أنـا الآن أحصـدُ ثـمار ذلـك بـزوجٍ صالـحٍ لا أمـرَ يُهِمّـه سـوى أن يجمعنـا الله في الجنـة كـما جمعنـاً في الدنيـا، اِعلَـم زوجـي الحبيـب أنَّ أكثـرَ مـا يـؤلم أي امـرأة مهـما تكـن مؤمنـةً ومطبقـة لأمـور دينهـا وراضيـة بقضـاء الله أن تشـاركها أخـرى في قلـب زوجها، ولكـن إن كانـت تلـك الأخـرى أقـرب إليهـا مـن نفسـها؛ فربـما يختلـف الأمـر قليـلًا؛ لذلـك يـا عزيـزي أوصيـك بالتـالي:

أُوصِيـكَ إن قُـدِّر لي أن أفـارق الدنيـا قبلـك أن تُخلفَنـي بزوجـة أصلـح منـي وأتْقَـى، تشـاركني فيـك في الجنـة لا الدنيـا؛ لأني حقًّـا لـن أتحمـل أن تشـاركني فيـك أخـرى، لذلـك اخـترت أنـا مـن تصاحبنـي في الجنـة وتقاسـمني مملكتـك هناك.

اخـترت لـك أختـي الأمينـة الوفيـة هُـدى (هايـدي).. لا أرى غيرهـا أنسـب لـك بعـدي، ولا أحـرصَ عـلى تربيـة أبنائـي - إن كتـب الله لي أن أُنجـب منـك- فـلا تخالـف وصيتـي...

روكا»

هرولـت رقيـة الصغـيرة وارتمـت بـين ذراعـي هايـدي، وقبَّلـت يديهـا ورأسـها، وكلتاهمـا جهشـت أعينهـما وذرفـت، تنظـر إليهـا نظـرة فخـرٍ وبهـاءٍ ...



- ربنـا يبـارك فيـكِ يـا أوفى صديقـة وأحـن أم.. بجـد مـش عارفـة أشـكرك إزاي، عمـري مـا حسـيت لحظـة إنـك زوجـة أب، وأكيـد عشـان قلبـك الصـافي وصـبرك عـلى ابتلائـك ده؛ ربنـا سـبِّب لـك الأسـباب ونولـك الـلي في بالـك.

- بيقولـوا فاقـد الـشيء لا يعطيـه، لكـن فاقـد الحنـان هـو أكـتر واحـد بيعـرف إزاي يعطيـه، ورقيـة رغـم الفـترة القليلـة دي علمتنـي الحـب والنقـاء؛ فمهـما عملـت مـش هقـدر أوفي جميلهـا، كفايـة إنهـا أثـرت فيَّ بأخلاقهـا قبـل كلامهـا.

تـمَّت

الجمعة/ ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٩

١٠ أغسطس ٢٠١٨

محمد الباسم



خاتمة

حاولتُ تقديمَ نموذج واقعيّ قدر استطاعتي، وبكل صدق لم أكن بطلًا أو مُبدعًا في ذلك؛ فما هي إلَّا شخصيات حقيقية تُحيط بي، وأتأثر بهم وأُؤثِّر أحيانًا، وانحصر دوري في تجسيد الأحداث وإبداء الرأي، وتقديم ما أعتقد أنه الصواب من باب النصيحة لا أكثر، متَّبعًا في ذلك الاختصار؛ حفاظًا على أوقاتكم.

وأرجو من الله أن تصل رسالتي واضحة، فإن وُفِّقْتُ في توصيل الفكرة فهذا من ربي فضلٌ ومنّة، وإن قصرت فهذا من نفسي الناقصة، وأسأله الإخلاص.

ويُسعدني تلقي آراء حضراتكم عبر حقول التواصل هذه:

Albassem 1414

01026037088

#روكا #اتقل_هتفهم



شكر واجب

إلى هـؤلاء.. فمـن دونهـم مـا اسـتطعتُ إتمـامَ هـذه الروايـة، ولـكل منهـم دورٌ كبـير، وخاصـةً مَـن زودوني بالمعلومـات الطبيّـة، والقانونيـة، والفنيـة...

فلكم مني شكرٌ مُعطرٌ بأريج المسك والعنبر

أحمد العرابي
دار العلوم - القاهرة

أحمد الديب
دار العلوم - القاهرة

عبد الرحمن إسماعيل
طب الأزهر - القاهرة

إيهاب زكيّ
حقوق - القاهرة

سلوى حمزاوي
قناة Ink Adsoo



التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

البدج داركتاب

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨